فتح أرحم الراحمين في بيان أحوال وصفات المنافقين

تأليف

جميل بن عبده بن قايد الصلوي

تقديم

فضيلة الشيخ يحيى بن علي الحجوري

حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة شيخنا أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعلم السر وأخفى، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الأولى والأخرى.

أما بعد:

فقد قرأت: كتاب «فتح أرحم الراحمين في بيان أحوال وصفات المنافقين» لأخينا الشيخ الفاضل جميل الصلوي حفظه الله، فرأيته كتابًا نافعًا في بابه مستوفيًا لعامة الموضوع، من كتاب الله، وصحيح سنة رسوله ﷺ.

فإن القراءة في مثل هذا الكتاب المشتمل على الآيات والأحاديث وأقوال الأئمة في حال هؤلاء - الرجز على الحق وأهله - تعتبر تثبيتًا وتسلية لك أيها الداعي إلى الله عزوجل، فما من صدَّاع بالحق، إلا كان المنافقون واقفون له كل مرصد، ولولا دفع الله لشرهم وأضرارهم وإزهاقه لمكرهم وبوارهم لفتكوا بعباد الله المؤمنين، ولغيروا معالم جمال هذا الدين، ولكن الأمر كما أخبر ربنا عز وجل : ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[الأنفال:٣٠].

فخذ عبرة أيها الداعي إلى الحق من حذر رسول الله ﷺ وأصحابه من هؤلاء الخونة، وصبره عليهم حتى يأتي الله بأمره، والعاقبة للمتقين.

وأخيرًا نقول: جزى الله الشيخ جميل الصلوي خيرًا على هذا الجمع الطيب لهذه المادة في هذا الجزء المفيد، الذي تمس الحاجة إلى مثله في كل زمان، وفي هذا الزمان أكثر، وهذا من توفيق الله له، ونسأل الله لنا وله المزيد من فضله، وبالله التوفيق.

كتبه:

أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

في الحادي والعشرين من شعبان عام ١٤٢٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فما من خير إلا وقد دلنا عليه رسول الله ﷺ وما من شر إلا وقد حذرنا منه ﷺ، وهكذا سائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، روى مسلم في «صحيحه» (١٨٤٤)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَـهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَـهُمْ**».

فالواجب علينا أن نتعلم الخير، وأن نعمل به وأن نبلغه غيرنا بحسب الاستطاعة، فالله يقول لنبيه ﷺ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ**﴾[المائدة:٦٧] الآية، فبلغ بأبي هو وأمي البلاغ المبين. ويقول الله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا** ﴾[الأحزاب:٣٩].

ويقول النبي ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**» إلى غير ذلك من الأدلة.

وينبغي لأهل الخير والهدى والسنة أن يجتهدوا في بيان سبيلهم ودعوتهم، إذ أن دعوتهم هي امتدادٌ لدعوة رسول الله ﷺ، والله يأمر نبيه ﷺ فيقول: ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ**

أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[يوسف:١٠٨]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾[النحل:١٢٥].

وروى الإمام أحمد (١/ ٤٣٥)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٣/ ٤٩)، والدارمي (١/ ٧٨)، وغيرهم من حديث عبد الله بن مسعود قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا، ثم قال: «**هَذَا سَبِيلُ الله**» ثم خط خطوطًا عن يمينه، وعن شماله، ثم قال: «**هَذِهِ سُبُلٌ** - قال يزيد: مُتفرِّقةٌ - **عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ، يَدْعُو إِلَيْهِ**» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾. **هذا حديث حسن.**

وحين أخبر النبي ﷺ عن افتراق اليهود والنصارى قال: «**وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الجَمَاعَةُ**». الحديث جاء عن عِدة من الصحابة، وذكر «**الجَمَاعَةِ**» جاء في حديث معاوية، وحديث عوف بن مالك، وهما صحيحان، وفي بعض طرق حديث أنس، وحديث سعد بن أبي وقاص، وكل من تمسك بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، فهو من الجماعة الناجية بإذن الله تعالى.

وعن معاوية رضي الله عنه، عن النبي الله ﷺ قال: «**لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ الله لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ الله وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**». رواه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم في كتاب الإمارة من صحيحه وعنده: «**وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**»، وجاء عن المغيرة في «الصحيحين»، وعن ثوبان وغيرهم، فالواجب على المسلمين جميعًا أن يكونوا من هذه الفرقة الناجية والطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، وكون النبي ﷺ يبين أوصاف هذه الفرقة والطائفة، فهذا يعتبر بيانًا وتنويهًا بسبيلها، وبسبب ظهورها ونجاتها، وحثًا عظيمًا للتمسك بمنهجها، وعظًا عليه بالنواجذ، كما قال النبي ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**».

ومن أكرمه الله بالخير الذي دلت عليه الرسل، والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، قولًا وعملًا ودعوة ونصرة له، ولأهله، ومحبة لهما.

فينبغي له معرفة ضده، وهو الشر الذي حذرت منه الرسل، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لِيُبْغَض ويُبْغَض أهلُهُ كلٌّ بحسبه، ويُحذَرَ أهلُه، ويُحَذَّرَ منهما، ويدحر ويزهق، ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[الإسراء:٨١]، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ ﴾[الأنبياء:١٨]، ورحم الله، ورضي عن حذيفة بن اليمان إذ قال: كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. رواه الشيخان.

وقال الشاعر:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ لَكِنْ لِتَوَقِّيهِ وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ يَقَعْ فِيهِ

والأدلة في التحذير من الشر وأهله كثيرة، فالقرآن الكريم والسنة المطهرة، مملوآن بالتحذير من الكفر والكافرين والنفاق والمنافقين، والكذب والكاذبين والظلم والظالمين والفساد والمفسدين، والفسق والفاسقين، والله يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[الأنعام:٥٥].

ويقول سبحانه: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾[النجم:٢٩].

ويقول: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنعام:٦٨].

وهكذا الأنبياء حذروا من ذلك، كما سبق في حديث عبد الله بن عمرو، وكما في حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبًا كَافِرٌ**» رواه البخاري (٧١٣١)، ومسلم (٢٩٣٣).

وحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنِ الدَّجَّالِ مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الجَنَّةُ هِيَ النَّارُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ**» رواه البخاري (٣٣٣٨)، ومسلم (٢٩٣٦).

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام ﷺ في الناس خطيبًا فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: «**إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ، وَلَكِنِّي سَأَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلًا لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ: إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ**». رواه البخاري (٧١٢٧).

وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتْبَعُهُ، مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، أَوْ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ**»، رواه أبو داود بسند صحيح عن عمران بن حصين - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - .

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ** ﴾[آل عمران:٧] قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**».

ومن الشر الذي حذر الله منه ورسوله ﷺ البدع والمبتدعين، قال الله تعالى عن المشركين: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾[الشورى:٢١] أي من الشرك والبدع وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله ونحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم، مع أن الدين لا يكون إلا ما شرعه الله تعالى ليدين به العباد... اهـ من «تفسير السعدي».

وقال تعالى في ذم النصارى من وجهين الأول ابتداعهم الرهبانية، الثاني عدم قيامهم بما التزموه مما يزعمون أنه يقربهم إلى الله.

قال سبحانه: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[الحديد:٢٧].

والله سبحانه وتعالى قد أكمل دينه، وأتم نعمته، ورضي لنا هذا الدين، فلسنا بحاجة إلى غيره قال الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة:٣]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[العنكبوت:٥١].

فكل شيء ليس من دين الإسلام لم يرضه الله، بل يكرهه ولن يقبله من أحد. وصاحبه خاسر. قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران:٨٥].

وديننا حق وهدى قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾[التوبة:٣٣]، وما عداه ضلال: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾[يونس:٣٢]، ومن الضلال البعيد ما ألصق في الدين من البدع والمحدثات بنص حديث رسول الله ﷺ: «وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

وقال النبي ﷺ: «**وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». رواه مسلم عن جابر.

وفي حديث العرباض بن سارية: «**إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتُ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، رواه أبو داود، والترمذي وغيرهما.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**». متفق عليه.

ولمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةٌ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ**». رواه أحمد وابن حبان وابن أبي عاصم وغيرهم، وهو صحيح.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**». متفق عليه.

وعن علي رضي الله عنه قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ آوَى مُحْدِثًا)، هذا اللعن للذي يؤي المحدث فكيف بالمحدث نفسه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ صَاحِبِ كُلِّ بِدْعَةٍ**». رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٤٢٠٢)، ط. دار الحرمين وهو حديث صحيح.

قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٨٩)، رجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة اهـ، وهو في «الصحيحة» للشيخ الألباني رحمه الله برقم (١٦٢).

ومن الأدلة في هذا الباب حديث عائشة السابق: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**».

ومما قاله النبي ﷺ في الخوارج

ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث علي رضي الله عنه قال: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ؛ فلأن أخرَّ من السماء أحبُّ إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم، فإن الحرب خدعة. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قَسمًا أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله، اعدل، فقال: «**وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟! قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ!**»، فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه، فأضرب عنقه، فقال: «**دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ - وَهُوَ قِدْحُهُ - فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ**

الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ».

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم، وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ.

(النصل) هو حديدة السهم، و (الرِصاف) مدخل النصل من السهم.

و (النضي) كغنى: السهم بلا نصل ولا ريش، و (القذذ) ريش السهم واحدتها قُذَّة، (تدردر) أصله تتدردر معناه تضطرب تذهب وتجئ.

وعن جابر بن عبد الله قال: أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة منصرفة من حنين وفي ثوب بلال فضةٌ، ورسول الله ﷺ يقبض منها، ويعطي الناس، فقال: يا محمد! اعدل، قال: «**وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ؟! لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**»، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله، فأقتل هذا المنافق، فقال: «**مَعَاذَ اللهِ! أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**».

رواه مسلم (١٠٦٣)، والبخاري مختصرًا.

وقال النبي ﷺ فيهم: «**كِلَابُ النَّارِ** - ثلاثًا - **شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتْلَى مَنْ قَتَلُوا**»، رواه أحمد، وعبد بن حميد، عن أبي أمامة، وقد حسنه شيخنا العلامة الوادعي في «الصحيح المسند».

وقال النبي ﷺ في القدرية: «**الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَإِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ**» جاء عن عدة من الصحابة، منهم عبد الله بن عمر، وجابر وحذيفة، وقد قوى الحديث ابن حجر، وقد أفردته في جزء والحمد لله.

وقد أَزَّت الشياطينُ الأشرارَ من الجن والإنس على اختلاف مراتبهم من كفار ومنافقين، ومبتدعين، وحزبيين وغيرهم، على معاداة الحق وأهله، فما على أهل الحق إلا ن يلبسوا لأمةَ الحرب، ويجاهدوا في الله حق جهاده حتى يأتيهم اليقين، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[العنكبوت:٦٩].

وأَن ينصروا الله سبحانه وتعالى، وذلك بالتمسك الصحيح الصادق بدينه، وشرعه والاعتزاز بذلك، وليبشروا بنصر الله، وتأييده لهم.

قال الله سبحانه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[محمد:٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الروم:٤٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾[غافر:٥١].

وقال سبحانه وبحمده: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[الصافات:١٧١-١٧٣].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾[الملك:٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾[آل عمران:١٢٦].

قال ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة» (٨/ ٤٨٨) ط. أولى سنة (١٤٠٦):

ولو انفرد الرجل في بعض الأمصار والأعصار بحق جاء به الرسول ﷺ ولم تنصره الناس عليه، فإن الله معه، وله نصيب من قوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة:٤٠]، فإن نصر الرسول ﷺ هو نصر دينه الذين جاء به حيث كان، ومتى كان...اهـ

وعلى أهل الحق والدين أن يستنصروا ربهم في دفع كيد أعدائهم، فهو خير الناصرين، وهذا مسلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين.

قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴿١٠﴾ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ﴾[القمر:٩-١٣].

وقال الله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾[المؤمنون:٢٦-٢٧].

وقال الله سبحانه وتعالى عن لوط عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[العنكبوت:٣٠].

وقال تعالى عن نبيه صالح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[المؤمنون:٣٩-٤١].

وعن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال: «**اللهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ**».

رواه أبو داود والترمذي، وقال شيخنا العلامة في «الصحيح المسند»: صحيح على شرط الشيخين.

وعن صهيب بن سنان قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلى همس شيئًا لا نفهمه ولا يحدثنا به، قال فقال رسول الله ﷺ: «**فَطِنْتُمْ لِي؟**» قال قائل: نعم، قال: «**فَإِنِّي قَدْ ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، أُعْطِيَ جُنُودًا مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالَ: مَنْ يُكَافِئُ هَؤُلَاءِ، أَوْ مَنْ يَقُومُ لِهَؤُلَاءِ،** - أو كلمة شبيهة بهذه، شك سليمان - قال: **فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: اخْتَرْ لِقَوْمِكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، أَوِ الْجُوعَ، أَوِ الْمَوْتَ، قَالَ: فَاسْتَشَارَ قَوْمَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالُوا: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ، نَكِلُ ذَلِكَ إِلَيْكَ، فَخِرْ لَنَا، قَالَ: فَقَامَ إِلَى صَلَاتِهِ، قَالَ: وَكَانُوا يَفْزَعُونَ إِذَا فَزِعُوا إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: فَصَلَّى، قَالَ: أَمَّا عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَلَا، أَوِ الْجُوعُ فَلَا، وَلَكِنِ الْمَوْتُ، قَالَ: فَسُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَمَاتَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، فَهَمْسِي الَّذِي تَرَوْنَ أَنِّي أَقُولُ: اللهُمَّ يَا رَبِّ، بِكَ أُقَاتِلُ، وَبِكَ أُصَاوِلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**».

وجاء بلفظ: «**اللهُمَّ بِكَ أُحَاوِلُ، وَبِكَ أَصُولُ وَبِكَ أُقَاتِلُ**».

رواه أحمد والنسائي في عمل اليوم والليلة، وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا رحمه الله.

وعن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلًا، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «**اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**»، فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كذاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال:٩]، فأمده الله بالملائكة. رواه مسلم (١٧٦٣).

قوله: (كذاك مناشدتك) المناشدة: السؤال مأخوذ من النشيد. وهو رفع الصوت هكذا وقع لجماهير رواة مسلم.

(كذاك) ولبعضهم (كفاك) وكلٌّ بمعنى. قاله النووي رحمه الله.

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «**رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا، لَكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي**».

رواه أحمد (١/ ٢٢٧)، وأبو داود (١٥١٠، ١٥١١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٠٧)، والترمذي (٣٥٥١)، وابن ماجه (٣٨٣٠)، وغيرهم وهو **حديث صحيح**.

السخيمة: هي الحقد، والسُخام: هو سواد القدر، وأمراض القلب، تعتبر سوادًا فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾[البقرة:٢٥٠-٢٥١].

وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة:٢٨٦].

ومن الشر الذي سبق ذكره وعظم خطره، وخفي أمره، على كثير من الناس النفاق، والمنافقون، عليهم من الله ما يستحقون.

فمن باب إنكار المنكر، وجهاد الباطل وأهله، والنصيحة التي هي الدين، وطمعًا في الأجر والثواب من رب الأرباب، كتبت هذا المؤلف بعون الله وتوفيقه في بيان صفات المنافقين، وأحكامهم وأحوالهم، وأسميته «**فتح أرحم الراحمين في بيان أحوال وصفات المنافقين**» والله أسأل أن ينفع به كاتبه، وقارئه، ومن نشره، وأعان على نشره، ودل عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه أبو عبد الرحمن جميل بن عبده بن قايد الصلوي

اليمن: صعدة ـ دار الحديث بدماج

تعريف النِّفاق

تعريفه في اللغة: أطال أهل اللغة في تعريفه، ومما ذكروا أنه مأخوذ من مادة (ن ف ق) التي تدل على الخروج، فالنفق المسلك النافذ الذي يمكن الخروج منه. اهـ من «مقايس اللغة».

وفي «لسان العرب» قال أبو عبيد: سُمي المنافق منافقًا للنَّفق وهو السَّرَبُ في الأرض.[١]

وقيل: إنما سمي منافقًا؛ لأنه نافق كاليربوع، وهو دخوله نافِقَاءه، وله جحر آخر يقال له القاصِعاء، فإذا طُلِبَ من النافِقَاء قصع أي خرج من القَاصِعاء، أو يدخل في القاصعاء ويخرج من النافقاء، يقال: نفق به، ونافق، وهكذا يفعل المنافق يدخل في الإسلام، ثم يخرج من غير الوجه الذي دخل فيه، ومنه اشتقاق المنافق في الدين، والنفاق بالكسر، فعل المنافق، والنفاق الدخول في الإسلام من وجه، والخروج عنه من وجه آخر، مشتق من نافقاء اليربوع، وقد نافق منافقة ونفاقًا. اهـ من «لسان العرب» مع حذفٍ من بعض المواضع.

وها أنا أنقل للقارئ ترجمة اليربوع من «حياة الحيوان» للدميري لتعرف صفته، وصفة بيته.

فقال: (اليربوع) بفتح الياء المثناة تحت، ويسمى الدرص، بفتح الدال وكسرها، وإسكان الراء المهملتين وبالصاد المهملة آخره، وذا الرميح... حيوان طويل الرجلين، قصير اليدين جدًا، وله ذنب كذنب الجرذ يرفعه صُعدًا في طرفه شبه

---

(١) ومنه قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ﴾[الأنعام:٣٥].

النوارة، لونه كلون الغزال، قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان: إن كل دابة حشاها الله خبثًا فهي قصيرة اليدين؛ لأنها إذا خافت شيئًا لاذت بالصعود فلا يلحقها شيء، وهذا الحيوان يسكن بطن الأرض، لتقوم رطوبتها مقام الماء، وهو يؤثر النسيم، ويكره البحار أبدًا، يتخذ جحره في نشز من الأرض، ثم يحفر بيته في مهب الرياح الأربع، ويتخذ فيه كوى، وتسمى النافِقَاء، القَاصِعَاء، والرهطاء، فإذا طُلِبَ من إحدى هذه الكوى، نافق أي خرج من النافقاء، وإن طلب من النافقاء خرج من القاصعاء، وظاهر بيته تراب، وباطنه حفر، وكذا المنافق ظاهره إيمان، وباطنه كفر، قال الجاحظ وغيره: واسم المنافق لم يكن في الجاهلية لمن أسر الكفر، وأظهر الإيمان، ولكن الباري جل وعلا اشتق له هذا الاسم من هذا الأصل، من نافِقَاء اليربوع؛ لأنه لما أبطن الكفر وأظهر الإيمان، ووَرَّى بشيء عن شيء، ودخل في باب الخديعة، وأوهم الغير خلاف ما هو عليه، أشبه في ذلك اليربوع. انتهى.

وفي طبعة أنه يطأ في الأرض اللينة حتى لا يعرف أَثَرُ وطئه، كما يفعل الأرنب، وهو يجتر ويبعر، وله كرش وأسنان، وأضراس في الفك الأعلى والأسفل.

قال الجاحظ والقزويني: اليربوع من نوع الفأر، زاد القزويني وهو من الحيوان الذي له رئيس مطاع، ينقاد إليه، وإذا كان فيها يكون من بينها في مكان مشرف، أو على صخرة، ينظر إلى الطريق من كل ناحية، فإن رأى ما يخافه عليها صرّ بإسنانه وصوت، فإذا سمعته انصرفت إلى أجحرتها، فإن قصّر الرئيس حتى أدركها أحد وصاد منها شيئًا، اجتمعت على الرئيس فقتلته وولَّت غيره، وهي إذا خرجت لطلب المعاش، خرج الرئيس أولًا يتشوف فإن لم ير شيئًا يخافه صرَّ بأسنانه وصوت إليها فتخرج.

قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»: والذي فسره به أهل العلم المعتبرون: أن النفاق في اللغة: هو من جنس الخداع والمكر، وإظهار الخير وإبطان خلافه. اهـ

وتعريفُهُ في الاصطلاح: إظهار الخير وإبطان الشر، ويدخل في هذا التعريف النفاق الاعتقادي والنفاق العملي.

أقسام النفاق

١- نفاق اعتقادي: وهو أن يُظْهِرَ صاحِبُهُ الإسلام، ويبطن الكفر، ويقال له النفاق الأكبر وهذا مخرج من الملة، وإذا مات صاحبه عليه كان في الدرك الأسفل من النار، وهو الذي ذمه الله في كتابه، وكفر أهله.

٢- نفاق عملي: وهو النفاق الأصغر، وهو أن يظهر صاحبه علانيةً صالحةً، ويبطن ما يخالف ذلك، ويكون الذي أبطنه ليس كفرًا، وهو من كبائر الذنوب.

قال الحافظ في «الفتح» عند شرحه أثر الحسن: (ما خافه إلا مؤمن...)، وتحت حديث رقم (٤٨): فمن أصر على نفاق المعصية خُشِيَ عليه أن يفضي به إلى نفاق الكفر. اهـ

وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»: والنفاق الأصغر وسيلة وذريعة إلى النفاق الأكبر.

وقال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم»: ومن أعظم خصال النفاق العملي، أن يعمل الإنسان عملًا ويظهر أنه قصد به الخير، وإنما عمله ليتوصل به إلى غرض له سيء، فيتم له ذلك، ويتوصل بهذه الخديعة إلى غرضٍ ويفرح بمكره وخداعه وحمد الناس له، على ما أظهره، ويتوصل به إلى غرضه السيء الذي أبطنه.

المنافقون المتأخرون، شر من المنافقين المتقدمين الذين كانوا على عهد نبينا ﷺ

قال الإمام الفريابي رحمه الله في «صفة المنافقين» (٥٦): حدثنا أبو بكر وعثمان، ابنا أبي شيبة، حدثنا وكيع بن الجراح، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة قال: (المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ) فقلنا: يا أبا عبد الله، وكيف ذاك؟ قال: (إن أولئك كانوا يسرون نفاقهم، وإن هؤلاء يعلنون). **أثر صحيح.**

وقال رحمه الله (٥٧): حدثنا عباس بن محمد، حدثنا أبو النضر، حدثنا شعبة، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة قال: (إن المنافقين اليوم شر من المنافقين الذين كانوا). فذكر نحوه.

وأخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» (٧١١٣) فقال رحمه الله: حدثنا آدم ابن أبي إياس، حدثنا شعبة، عن واصل الأحدب، عن أبي وائل، عن حذيفة بن اليمان، قال: (إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي ﷺ، كانوا يومئذٍ يسرون، واليوم يجهرون).

وقال الفريابي رحمه الله (٥٩): حدثني أبو مسعود أحمد بن الفرات، أنبأنا يزيد ابن هارون، أنبأنا شعبة، عن واصل، عن أبي وائل، عن حذيفة، قال: (المنافقون اليوم شر منهم على عهد رسول الله ﷺ) قيل وكيف ذاك؟ قال: (إنهم كانوا يخفونه على عهد رسول الله ﷺ وهم اليوم يظهرونه). **سنده صحيح.**

وواصل: هو ابن حيان الأحدب، وأحمد بن الفرات: هو ابن خالد الضبي.

وقال الإمام البخاري رحمه الله (٤٦٠٢): حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، قال: حدثني إبراهيم، عن الأسود قال: كنا في حلقة عبدالله، فجاء حذيفة حتى قام علينا فسلّم ثم قال: (لقد أُنزل النفاق على قوم خير منكم) قال الأسود: سبحان الله، إن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[النساء:١٤٥]، فتبسم عبدالله، وجلس حذيفة في ناحية المسجد، فقام عبدالله، فتفرق أصحابه، فرماني بالحصا فأتيته، فقال حذيفة: عجبت من ضحكه، وقد عرف ماقلتُ، (لقد أُنزل النفاق على قومٍ كانوا خيرًا منكم، ثم تابوا فتاب الله عليهم).

وأخرجه الإمام أبوداود في «الزهد» (٢٨١)، فقال - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: نا ابن المثنى، قال: نا أبوالمساور، قال: نا أبوعوانة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، قال: كُنَّا جلوسًا عند عبدِالله فجاء حذيفة فقال: والله [لو][1] نزل النفاق في قوم هم خير من هؤلاء، فضحك عبدالله. قال: فقام حذيفة فجلس إلى سارية، قال: فلما قمت مررت عليه، قال: فرماني بحصيات، فأتيته، قال: ألا تعجب من ضحك عبدالله؟! لقد عرفت لِمَ فعل ذلك، إن النفاق نزل عليهم، ثم تيب عليهم.

سنده حسن.

أبوالمساور هو الفضل بن مساور البصري، حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات.

الأسود هو ابن يزيد بن قيس النخعي، وهو قائل: (فلما قمتُ).

وقال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٦٨): حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه، ما يلقون من

---

(١) هكذا في المطبوع، والذي يقتضيه السياق (لقد)، وهي كذلك في البخاري.

الحجاج، فقال: «**اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ أَشَرُّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**» سمعته من نبيكم ﷺ، وفي بعض النسخ «**شَرٌّ مِنْهُ**» وهذه اللغة هي المشهورة.

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧١١٤): حدثنا خلاد بن يحيى، حدثنا مسعر، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الشعثاء، عن حذيفة قال: (إنما كان النفاق على عهد النبي ﷺ، فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان).

أثر عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه

قال الإمام الفريابي في «صفة النفاق» (١١٢): حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن سليمان، عن خيثمة، عن عبدالله بن عمرو قال: (ليأتين على الناس زمان يجتمعون في مساجدهم ليس فيهم مؤمن).

وقال رحمه الله (١١٣): حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا خالد بن الحارث، حدثنا شعبة، عن سليمان، عن خيثمة، عن عبد الله بن عمرو فذكره.

وقال رحمه الله (١١١): حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا فضيل بن عياض، عن الأعمش، عن خيثمة، عن عبد الله بن عمرو، فذكره. **الأثر صحيح**.

قال الإمام الفريابي رحمه الله: حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا ضمرة، حدثنا ابن شوذب، عن الحسن قال: (لا تقوم الساعة حتى يسود كُلَّ قومٍ منافِقُوها). **سنده حسن**. وابن شوذب: هو عبد الله. والحسن: هو البصري.

فائدة: وقد جاء عن ابن مسعود مرفوعًا، أخرجه الطبراني والبزار وابن عدي في «الكامل». قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣٣٠) وفيه حسين بن قيس وهو متروك. اهـ

وصدق الحسن رحمه الله في قوله هذا، فالنبي ﷺ يقول: «**إِنَّ أَمَامَ الدَّجَالِ سِنِينٌ خَدَّاعَةٌ، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيُؤتَمَنُ فِيهَا الخَائِنُ، وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**»، قيل: وما الرويبضة؟ قال: «**الفُوَيْسِقُ يَتَكلَّمُ فِي أَمْرِ العَامَّةِ**».

وجاء بلفظ: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ...** ». رواه الإمام أحمد (٣/ ٢٢٠)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٤/ ١٣٢)، عن أنس رضي الله عنه، وهو من طريق محمد بن إسحاق: وهو مدلس، وقد صرح بالتحديث عند البزار، **فالحديث حسن**، وقد حسنه شيخنا في «الصحيح المسند».

وله شاهدٌ عن أبي هريرة، رواه الإمام أحمد (٢/ ٢٩١، ٣٣٨)، وغيره بإسنادين هو بهما **حسن لغيره**.

وآخر عن عوف بن مالك، رواه الطبراني في «الكبير» (١٨ رقم ١٢٣)، (١٢٤)، و (١٢٥)، قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣٣٠): رواه الطبراني بأسانيد في أحسنها ابن إسحاق، وهو مدلس وبقية رجاله ثقات.

وما أكثر الأحاديث التي تدل على كثرة الفتن آخر الزمان، وأنها من علامات قيام الساعة من ذلك حديث أبي هريرة في «الصحيحين»: أن النبي ﷺ قال: «**يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ العِلْمُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ**»، قالوا: يا رسول الله، أيما هو؟ قال: «**القَتْلُ القَتْلُ**».

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ**» رواه البخاري ومسلم.

وجاء في بعض طرقه في مسلم بلفظ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى القَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا القَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا البَلَاءُ**». ومن جملة هذه الفتن النفاق، نسأل الله العافية.

ونحن في زمننا هذا نشكوا إلى الله من كثرة المنافقين، فبعض الناس يتظاهر بالإسلام، وبعضهم ربما تظاهر بالدعوة إلى الإسلام، وقد يحظى من بعض الجهال، أو من يبطن سوءًا، بلقب الداعية الإسلامي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وباطنه مع أعداء الإسلام، يظاهرهم ويعمل لهم ضد الإسلام والمسلمين، فنسأل الله أن يكفينا شرهم، ويريح الإسلام والمسلمين منهم.

الفرق بين أهل الحق والمرجئة في النفاق

قال الإمام الفريابي رحمه الله في «صفة المنافقين» (٩٦): حدثنا محمد بن أبي السري العسقلاني، حدثنا زيد بن أبي الزرقاء، عن سفيان الثوري قال: (خلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث: نقول الإيمان قول وعمل، وهم يقولون: الإيمان قول لا عمل. ونقول الإيمان يزيد وينقص، وهم يقولون: لا يزيد ولا ينقص. ونحن نقول: النفاق، وهم يقولون: لا نفاق). **سنده حسن.**

وزيد بن أبي الزرقاء، هو الثعلبي، الموصلي، وهو ثقة، وقد وقع في بعض مطبوعات «صفة النفاق»: يزيد، وهو تصحيف، ومحمد بن أبي السري العسقلاني، هو ابن عبد الرحمن الهاشمي مولاهم حسن الحديث.

قال الإمام الفريابي رحمه الله في «صفة المنافقين» (٩٥): حدثنا أبو قدامة عبيدالله بن سعيد السرخسي، بالفرياب سنة سبع وعشرين، سمعت عبد الرحمن بن مهدي، عن سلام بن أبي مطيع (ح)، وحدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي ببغداد سنة أربع وثلاثين ومائتين، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سلام بن أبي مطيع: سمعت أيوب، وعنده رجل من المرجئة، فجعل الرجل يقول: إنما هو الكفر والإيمان، وأيوب ساكت.

قال: فأقبل عليه أيوب فقال: (أرأيت قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ﴾[التوبة:١٠٦]، أمؤمنون هم أم كفار؟) قال: فسكت الرجل، فقال أيوب: (اذهب فاقرأ القرآن، فكل آية في القرآن فيها ذكر النفاق، فإني أخافها على نفسي). **الأثر صحيح.**

قال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» في شرحه لحديث عبدالله ابن عمرو: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا**»، قال: وهذا الحديث قد حمله طائفة ممن يميل إلى الإرجاء على المنافقين الذين كانوا على عهد النبي ﷺ، فإنهم حدَّثوا النبي ﷺ فكذبوه، وائتمنهم على سره، فخانوه، ووعدوه أن يخرجوا معه في الغزو، فأخلفوه. اهـ المراد.

وهذا خطأ بيِّن لأن الأدلة عامة، وهي كثيرة، فلا يجوز تخصيصها بغير مخصص صحيح.

والواقع أن النفاق إزداد عما كان عليه في عهد النبي ﷺ وفي الحديث: «**لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**». رواه البخاري عن أنس.

كان نبينا ﷺ يستعيذ بالله من النفاق و هو إمام المتقين المخلصين فنحن من باب أولى أن نستعيذ بالله منه

قال الإمام ابن حبان رحمه الله كما في «الإحسان» (٣/ ٣٠٠): أخبرنا أحمد بن يحيى بن زهير الحافظ بتستر، قال: حدثنا أحمد بن منصور قال: حدثنا عبد الصمد بن النعمان، حدثنا شيبان، عن قتادة، عن أنس قال: كان النبي ﷺ يدعو يقول: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالهَرَمِ، وَالقَسْوَةِ وَالغَفْلَةِ، وَالذِّلَّةِ وَالمَسْكَنَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الفَقْرِ وَالكُفْرِ، وَالشِّرْكِ وَالنِّفَاقِ، وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ وَالبَكَمِ، وَالجُنُونِ وَالبَرَصِ وَالجُذَامِ، وَسَيِّءِ الأَسْقَامِ**».

هذا حديث صحيح. رجاله كلهم ثقات، عدا عبد الصمد بن النعمان، وهو البزار، وقد قال فيه أبو حاتم، كما في «الجرح والتعديل»: صالح الحديث، صدوق، وهو متابع.

وأخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ١١٤)، والحاكم (١/ ٥٣٠)، من طريقين عن آدم بن أبي إياس، عن شيبان به.

وصححه الحاكم، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٤٣)، رواه الطبراني في «الصغير»، ورجاله رجال الصحيح، وقد صححه شيخنا في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

خوف السلف على أنفسهم من النفاق

قال الإمام البزار ـ رحمه الله ـ كما في «كشف الأستار» (١/ ٣٩١): حدثنا عبد الواحد بن غياث، ثنا عبد العزيز بن مسلم، ثنا الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة رضي الله عنه قال: دُعي عمر لجنازة فخرج فيها أو يريدها، فتعلقت به، فقلت: اجلس يا أمير المؤمنين، فإنه من أولئك، فقال: نشدتك بالله، أنا منهم؟ فقال: لا، ولا أبرئ أحدًا بعدك.

قال شيخنا في «الصحيح المسند»: **هذا حديث حسن**. قوله: (فإنه من أولئك)، في الأصل (فإنه عن أولئك)، والصواب ماأثبتناه، والمعنى أن هذا الميت من المنافقين الذين أخبرني بهم رسول الله ﷺ، والمنافق لا تصح ولا تجوز عليه الصلاة؛ لأنا قد نهينا عن ذلك. اهـ

كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾[التوبة:٨٤].

وكان سبب نزولها صلاته ﷺ على عبد الله بن أُبَي ابن سلول.

قال الإمام أبو بكر جعفر الفريابي في كتابه «صفة النفاق وذم المنافقين» (٧٦): حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي، حدثنا بقية بن الوليد، حدثني صفوان بن عمرو، حدثني سليم بن عامر، حدثني جبير بن نفير، أنه سمع أبا الدرداء وهو في آخر صلاته، وقد فرغ من التشهد يتعوذ بالله من النفاق، فأكثر التعوذ منه قال: قال جبير: ومالك يا أبا الدرداء أنت والنفاق؟ فقال: (دعنا عنك، دعنا عنك، فوالله إن الرجل ليقلب [قال المحقق: عند عطاء ليغلب] في الساعة الواحدة فيخلع منه).

وقال الفريابي رحمه الله (٧٧): حدثني أبو مسعود أحمد بن الفرات، أنبأنا أبواليمان، أنبأنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر، عن جبير بن نفير قال: دخلت على أبي الدرداء منزله بحمص، فإذا هو قائم يصلي في مسجده، فلما جلس يتشهد جعل يتعوذ بالله من النفاق، فلما انصرف قلت له: ما أنت والنفاق؟ ما شأنك، وما شأن النفاق؟ فقال: (اللهم غفرًا -ثلاثًا- لا يُؤْمَنُ البَلَاءُ، مَنْ يَأْمَنُ البَلَاءَ؟! والله إن الرجل ليفتن في ساعة واحدة وينقلب عن دينه).

الأثر بالإسناد الأول حسن، وبالثاني صحيح.

قال المحققان: الموجود في الظاهرية (لا يأمن البلاء من يأمن البلاء)، وفي الأزهرية: (لا تأمن من البلاء).

أثر أبي أيوب

قال الفريابي رحمه الله (٨٠): حدثنا يزيد بن خالد بن موهب الرملي، حدثنا عبد الله بن وهب، أنبأنا حيوة بن شريح، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي عمران: أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول: (لتأتين على الرجل أحيان وما في جلده موضع إبرة من النفاق، وإنه ليأتي عليه أحيان وما في جلده موضع إبرة من إيمان).

إسناده صحيح. وأبو عمران: هو أسلم بن يزيد التجيبي المصري وهو ثقة.

وقال رحمه الله (٧٩): حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أَسلم أبي عمران: سمعت أبا يوب الأنصاري، فذكره.

وابن لهيعة ضعيف.

أثر معاوية بن قرة

قال الإمام أبو بكر الفريابي رحمه الله (٨٩): حدثنا هشام بن عمار، حدثنا أبو سعيد أسعد بن موسى، حدثنا عون بن موسى البصري، سمعت معاوية بن قرة يقول: (أن لا يكون فيَّ نفاقٌ أحب إلي من الدنيا وما فيها، كان عمر رضي الله عنه يخشاه، وآمنه أنا؟). **إسناده حسن**.

هشام بن عمار حسن الحديث، وبقية رجاله ثقات، وعون بن موسى البصري، ترجمته في «الجرح والتعديل».

وأبو سعيد: أسد بن موسى الملقَّب بأسد السنة من رجال التقريب.

أثر ابن أبي مليكة

أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم، تحت باب (٣٦)، وقبل حديث رقم (٤٨)، فقال: قال ابن أبي مليكة: (أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحدٌ يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل).

ووصله في «تاريخه الكبير» ترجمة عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، من طريق محمد ابن سعيد، عن يحيى بن اليمان، عن سفيان، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة فذكره.

ورواه ابن أبي خيثمة في «تاريخه الكبير» رقم (٦٥) فقال رحمه الله: حدثنا ابن الأصبهاني قال: أنا يحيى بن يمان به، مختصرًا بلفظ: (أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ)، وأخرجه أبو زرعة الدمشقي من طريق يحيى بن يمان، كما في «تغليق التعليق».

ويحيى بن يمان: هو العجلي الكوفي: ضعيف.

وابن الأصبهاني: هو محمد بن سعيد بن الأصبهاني.

ورواه ابن أبي خيثمة في «تاريخه» ومحمد بن نصر المروزي في كتابه الإيمان، كما في «تغليق التغليق» (٢/ ٥٢)، وذكر الحافظ له إسنادًا لنفسه كلهم من طريق الصلت بن دينار، عن ابن أبي مليكة، والصلت بن دينار متروك، ناصبي، كما في «التقريب».

فالأثر بهذين الإسنادين: ضعيف، و ذكرته هنا للفائدة لما له من الشهرة.

عن حنظلة الأُسَيِّديِّ قال: - وكان من كُتَّابِ رسول الله ﷺ - قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة قال: سبحان الله، ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر: فوالله: إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**وَمَا ذَاكَ**»، قلت: يا رسول الله! نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين. فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً**» ثلاث مرات. رواه مسلم (٢٧٥٠).

قوله (عافسنا)، معناه: حاولنا ذلك، ومارسناه، واشتغلنا به، أي عالجنا معايشنا وحظوظنا.

قوله (والضيعات) جمع ضيعة، وهي معايش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة.

وقال الإمام أبو يعلى رحمه الله في «مسنده»: حدثنا عبد الواحد، حدثنا غسان بن بُرْزِين، يعني الطهوي، حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: غدا أصحاب النبي ﷺ ذات يوم فقالوا: يا رسول الله، هلكنا ورب الكعبة، فقال: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قالوا: النِّفاق، قال: «**أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟**»، قالوا: بلى، قال: «**لَيْسَ ذَاكَ النِّفَاقُ**»، قال: ثم عادوا الثانية، فقالوا: يا رسول الله، هلكنا ورب الكعبة، قال: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قالوا: النفاق النفاق، قال: «**أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟**» قالوا: بلى، قال: «**لَيْسَ ذَاكَ النِّفَاقُ**»، قال: ثم عادوا الثالثة، فقالوا: يا رسول الله، هلكنا ورب الكعبة، قال: «**وما ذاك؟**» قالوا: النفاق، قال: «**أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؟**» قالوا: بلى، قال: «**لَيْسَ ذَاكَ النِّفَاقُ**»، قالوا: إنا إذا كنا عندك كنا على حال، وإذا خرجنا من عندك همتنا الدنيا وأهلونا، قال: «**لَوْ أَنَّكُمْ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِي تَكُونُونَ عَلَى الحَالِ الَّذِي تَكُونُونَ عَلَيْهِ، لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ بِطُرُقِ المَدِينَةِ**».

قال شيخنا في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين»: **هذا حديث حسن**، وعبد الواحد هو ابن غياث.

أثر أبي رجاء عمران بن ملحان

قال الإمام الفريابي رحمه الله في «صفة النفاق» (٨٤): حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جعفر بن سليمان، عن الجعد أبي عثمان، قال: قلت لأبي رجاء العطاردي: هل أدركت ممن أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ يخشون النفاق؟ وكان قد أدرك عمر رضي الله عنه، قال: (نعم إني أدركت بحمد الله منهم صدرًا حسنًا، نعم شديدًا، نعم شديدًا). **إسناده حسن**. الجعد: هو ابن دينار، وأبو رجاء: هو عمران بن ملحان.

آثار الحسن البصري

١- قال الإمام جعفر الفريابي رحمه الله (٨٥): حدثنا عبد الأعلى بن حماد النرسي، حدثنا حماد بن سلمة، عن حبيب بن الشهيد: أن الحسن كان يقول: (إن القوم لما رأوا هذا النفاق يغول الإيمان لم يكن لهم هم غير النفاق). **سنده صحيح**.

وقال رحمه الله (٨٦): حدثنا هشام بن عمار، حدثنا أسد بن موسى، عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: (لما ذكر أن النفاق يغول الإيمان لم يكن شيء أخوف عندهم منه).

سنده حسن، وأبو الأشهب: هو جعفر بن حيان العطاردي.

٢- قال الإمام أبو بكر جعفر الفريابي في «صفة النفاق»: حدثنا قتيبة، حدثنا جعفر بن سليمان، عن المعلى بن زياد، سمعت الحسن يحلف في هذا المسجد: (بالله الذي لا إله إلا هو ما مضى مؤمن قط، ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق قط، ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن)، قال: وكان يقول: (من لم يخف النفاق فهو منافق). **سنده حسن**، ومعلى بن زياد: هو الفردوسي.

قال الإمام الفريابي (٩١): حدثنا أبو قدامة عبيد الله بن سعيد السرخسي، أنبأنا مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن زيد، عن أيوب قال: سمعت الحسن يقول: (والله ما أصبح ولا أمسى مؤمن إلا وهو يخاف النفاق على نفسه).

مؤمل بن إسماعيل: ضعيف، ويتقوى الأثر بما قبله.

أثر محمد بن سيرين

قال الإمام أبو بكر جعفر الفريابي رحمه الله في «صفة النفاق» (٩٢): حدثنا محمد بن عبيد بن حِسَاب، حدثنا حماد بن زيد، عن يحيى بن عتيق، قال محمد بن سيرين: (لم يكن شيء أخوف علي من قال هذا القول من هذه الآية: ﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ**﴾[البقرة:٨].

سنده صحيح، ويحيى بن عتيق: هو الطفاوي. أي: لم يكن شيء أخوف أن يقول الإنسان بأنه مؤمن، ثم يكون من الذين قال الله فيهم: وما هم بمؤمنين. نسأل الله أن يجعل خير أعمالنا خواتيمها.

أثر عمرو بن الأسود العنسي الحمصي

مخضرم، ثقة عابد

قال الإمام الفريابي رحمه الله (٩٣): حدثنا إبراهيم بن العلاء الحمصي، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن بحير بن سعد، عن خالد بن معدان، عن عمرو بن الأسود العنسي: أنه كان إذا خرج إلى المسجد قبض بيمينه على شماله، فسئل عن ذلك، فقال: (مخافة أن تنافق يدي) **سنده حسن**، وبحير بن سعد: هو السحولي الحمصي.

أثر بلال بن سعد الدمشقي

قال الفريابي رحمه الله (٩٤): حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي قال: سمعت بلال بن سعد يقول: (لا تكن وليًّا لله في العلانية وعدوه في السر). **سنده حسن**.

أثر أيوب بن أبي تميمة السختياني

قال الإمام الفريابي رحمه الله في «صفة النفاق» (٩٥): حدثنا أبو قدامة عبيد الله ابن سعيد السرخسي بالفرياب سنة تسع وعشرين، سمعت عبد الرحمن بن مهدي، عن سلام بن أبي المطيع (ح)، وحدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي ببغداد سنة أربع وثلاثين ومائتين، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سلام بن أبي مطيع، سمعت أيوب وعنده رجل من المرجئة، فجعل الرجل يقول: إنما هو الكفر والإيمان، وأيوب ساكت قال: فأقبل عليه أيوب فقال: (أرأيت قوله: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾[التوبة:١٠٦]، أمؤمنون هم أم كفار؟ قال: فسكت الرجل. فقال أيوب: أذهب فاقرأ القرآن، فكل آية في القرآن فيها ذكر النفاق، فإني أخافها على نفسي. **الأثر صحيح**.

أثر إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي

قال الإمام الفريابي في «صفة المنافقين» (٩٨): حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن أبي حيان التيمي، عن إبراهيم التيمي قال: (ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذبا). **الأثر صحيح**، وأحمد بن إبراهيم: هو الدورقي.

والنفاق الذي خافه السلف على أنفسهم هو الأصغر؛ لأنه وسيلة وذريعة إلى النفاق الأكبر، وبنحو هذا ذكر الحافظ في «الفتح» (٣٣، ٣٤) وعند شرحه لأثر ابن أبي مليكة قبل رقم (٤٨) وابن رجب في «جامع العلوم والحكم».

أَمرُ اللهِ لنبيه ﷺ بجهادهم، وهو أَمرٌ لأتباعه أيضًا

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[التوبة:٧٣].

قال السعدي رحمه الله: وهذا الجهاد يدخل فيه الجهاد باليد، والجهاد بالحجة، واللسان، فمن بارز منهم بالمحاربة، فيجاهد باليد، واللسان، والسيف، والسنان.

ومن كان مذعنًا للإسلام، بذمةٍ أو عهدٍ فإنه يجاهد بالحجة والبرهان، ويبين له محاسن الإسلام، ومساوئ الشرك والكفران، فهذا ما لهم في الدنيا.

وأما في الآخرة، فإن مأواهم جهنم أي مقرهم الذي لا يخرجون منه، وبئس المصير. اهـ

ومن جهادهم بيان سبيلهم، وصفاتهم لِتُحذَرَ ويُحَذَّرَ منها.

والآن آن الأوان لذكر ما يسر الله من صفاتهم.

بيان صفات المنافقين

أنهم أنجاس العقيدة

قال تعالى: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[التوبة:٩٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[التوبة:١٢٤-١٢٥]

يظهرون الإسلام والخير ويبطنون الكفر والشر والعياذ بالله

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾[البقرة:٨].

وقال تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة:٩٧].

وقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[المنافقون:١-٣].

وقال الله عنهم: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[النور:٤٧].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[التوبة:٥٦] أي يخافون أن تظهر أحوالهم، فيعرض عنهم المسلمون ويتخطفهم الناس من كل جانب.

وقال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ﴾[التوبة:٧٤].

وقوله: ﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ أي: الظاهر.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ﴾[المائدة:٤١].

قال الفريابي رحمه الله في كتابه «صفة النفاق» (٥٠): حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، عن أبي الأشهب قال: قال الحسن: (من النفاق اختلاف اللسان والقلب، واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج). **سنده صحيح**. وأبو الأشهب: هو جعفر بن حيان العطاردي البصري.

وقال رحمه الله (٥١): حدثنا هشام بن عمار الدمشقي، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، حدثنا عوف الأعرابي، عن الحسن قال: (كان يقال: النفاق اختلاف السر والعلانية، والقول والعمل، والمدخل والمخرج وكان يقال: أُسُّ النفاق الذي يبنى عليه النفاق الكذب). **سنده حسن** من أجل هشام بن عمار، وبقية رجاله ثقات، وعوف الأعرابي: هو ابن أبي جميلة البصري.

أنهم يريدون التحاكم إلى الطاغوت
وكل ما خالف شريعة الله فهو طاغوت

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[النساء:٦٠].

معرضون عن الطاعة والخير ومن ذلك التحاكم إلى شرع الله
ويصدون غيرهم عن ذلك إلا إذا علموا أن الحق لهم

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[التوبة:٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[المنافقون:٥].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[النور:٤٧-٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾[النساء:٦١]

وعن أبي واقد الليثي: أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد، والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فُرجةً في الحَلْقةِ، فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ**

النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ». رواه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).

الشاهد من الحديث: «**وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**»، على إحدى الاحتمالات أنه منافق، وهذا ليس ببعيد حيث أنه يُعْرِضُ عن مجلس فيه رسول الله ﷺ، وأما الصحابة فكانوا في غاية الحرص على مجالسه وملازمته ﷺ، فقد لزم أبو هريرة رسول الله ﷺ على ملء بطنه، وكان يصرع من شدة الجوع، وكان عمر بن الخطاب يتناوب مع الأنصاري على مجلس رسول الله ﷺ، فكلٌّ يحدث الآخر بما سمع من رسول الله ﷺ في حال غيابه، وروى الطبراني في «الأوسط» (٤٨٠)، و«الصغير» (١/ ٢٦)، من حديث عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك لأحب إليّ من نفسي، وإنك لأحب إلي من أهلي، ومالي، وأحب إلي من ولدي، لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك، فأنظر إليك، وإذا ذكرتُ موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفِعْتَ مع النبيين وإني إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك فلم يردَّ عليه النبي ﷺ حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النساء:٦٩].

سنده حسن، رجاله ثقات إلا عبد الله بن عمران المعابدي، قال أبو حاتم: صدوق، كما في «الجرح والتعديل». وشيخ الطبراني أحمد بن عمرو الخلال، روى عن جمع وروى عنه جمع منهم الطبراني كما في «تاريخ الإسلام» وفيات (٢٩١-٣٠٠) ص٥٩. وله شاهد عن ابن عباس رواه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٨٦) من طريق خالد بن عبد الله الطحان عن عطاء بن السائب عن الشعبي عن ابن عباس.

وخالد الطحان ممن سمع من عطاء بعد الاختلاط.

قال الحافظ في «الفتح» في شرحه لحديث أبي واقد: وهو محمول على من ذهب معرضًا لا لعذر هذا إن كان مسلمًا، ويحمل أن يكون منافقًا وأطلع الله النبي ﷺ على أمره، كما يحتمل أن يكون قوله ﷺ: «**فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**»، إخبارًا أو دعاء، ووقع في حديث أنس: «**فَاسْتَغْنَى فَاسْتَغْنَى اللهُ عَنْهُ**»، وهذا يرشح كونه خبرًا. اهـ المراد.

مذبذبون بين الإيمان والكفر والمؤمنين والكافرين فلا هم مع المؤمنين ظاهرًا وباطنًا ولا مع الكافرين ظاهرًا وباطنًا بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين

قال الله تعالى: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾[النساء:١٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾[البقرة:١٤].

(وشياطينهم) هم سادتهم وكبراؤهم ورؤساؤهم من أحبار اليهود، ورءوس المشركين والمنافقين.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً**».

وفي رواية: «**تَكِرُّ فِي هَذِهِ مَرَّةً، وَفِي هَذِهِ مَرَّةً**».

رواه مسلم (٢٧٨٤)، والنسائي (٨/ ١٢٤).

(العائرة) أي: المترددة الحائرة لا تدري لأيهما تتبع.

ومعنى (تعير) أي: تردد وتذهب.

قال الإمام أبو بكر جعفر الفريابي في «صفة المنافق» (٥٢): حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي أنه سمع الحسن يقول: (إنما الناس ثلاثة نفر: مؤمن، ومنافق، وكافر، فأما المؤمن فعامل بطاعة الله، وأما الكافر فقد أذله الله تعالى، كما رأيتم، وأَمَّا المنافق فهاهنا وهاهنا في الحجر والبيوت والطرق نعوذ بالله، والله ما عرفوا ربهم، بل عرفوا انكارهم لربهم بأعمالهم الخبيثة، ظهر الجفاء وقل العلم وتركت السنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، حيارى سكارى ليسوا يهودًا ولانصارى ولا مجوسًا فيعذروا). **سنده صحيح**.

أصحاب مكر وخداع فيظهرون الخير ويبطنون ضده فيعود خداعهم على أنفسهم

قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾[البقرة:٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾[النساء:١٤٢].

والخداع في أصل اللغة: الفساد، وقيل أصله الخفاء، ومنه مخدع البيت الذي يحرز فيه الشيء. اهـ من «فتح القدير» للشوكاني.

ومن مكرهم وخداعهم أنهم يتظاهرون بالإيمان، ثم يعلنون كفرهم طمعًا منهم في رجوع المسلمين أو اضعافهم عن دينهم.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[آل عمران:٧٢].

والطائفة من أهل الكتاب: هم رؤساؤهم وأشرافهم، والمأمورون هم السفلة منهم.

قلوبهم مريضة بالشك والنفاق، فزادهم الله مرضًا ويزدادون بآيات الله رجسًا

قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾[البقرة:١٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾[التوبة:١٢٤-١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾[التوبة:١٢٧].

فإذا أنزلت السورة ينظر بعضهم إلى بعض جازمين على ترك العمل بها.

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ﴾[محمد:٢٠-٢١].

وقال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ٢٩ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾[محمد:٢٩-٣٠].

وقال الله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾[المائدة:٥٢].

وقال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[الأحزاب:٦٠].

الاستهزاء بالمؤمنين وعلماء الدين

قال الله سبحانه تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[البقرة:١٤-١٥].

وقال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة:٦٤-٦٦].

قال ابن جرير رحمه الله في «تفسيره»: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: ثني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأُخبِرنَّ رسول الله ﷺ فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[التوبة:٦٥-٦٦].

وأخرجه ابن أبي حاتم بهذا الإسناد، وهشام بن سعد ضعيف، ولكنه أثبت الناس في زيد بن أسلم، وبقية رجاله ثقات، ويونس: هو ابن عبد الأعلى، وللحديث شواهد.

حديث كعب بن مالك عند ابن أبي حاتم وسنده حسن قاله شيخنا في «أسباب النزول»: وأخرى مراسيل عند ابن جرير الطبري.

فالواجب البعد عن هؤلاء المستهزئين، وعدم القعود معهم حتى يتوبوا إلى الله سبحانه وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[النساء:١٤٠]

قال ابن كثير رحمه الله: أي إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم، ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله ويُستهزأُ، وينتقص بها، وأقررتموهم على ذلك، فقد شاركتموهم في الذي هم فيه، فلهذا قال: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا ﴾ في المأثم.

وقال السعدي رحمه الله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا ﴾ أي: إن قعدتم معهم في الحال المذكور ﴿مِّثْلُهُمْ﴾ لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم والراضي بالمعصية، كالفاعل لها، والحاصل أن من حضر مجلسًا يعصى الله به، فإنه يتعين عليه الإنكار عليهم، مع القدرة أو القيام مع عدمها. اهـ

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنعام:٦٨].

يشترون الضلالة بالهدى

قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾[البقرة:١٦].

فالمنافقون رغبوا في الضلالة رغبة المشتري في السلعة، التي من رغبته فيها -يبذل فيها الأموال النفيسة وجعلوا الهدى الذي هو غاية الصلاح، وقد رغبوا عنه- ثمنًا للضلالة والعياذ بالله. قاله السعدي رحمه الله.

هم شر من الدواب صم بكم عمي عن الحق لا يعقلونه ولا يرجعون إليه

قال تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾[البقرة:١٨].

قال السعدي رحمه الله ﴿ صُمٌّۢ ﴾ أي عن سماع الخير ﴿بُكۡمٌ ﴾ أي عن النطق به، ﴿عُمۡيٞ ﴾ أي عن رؤية الحق ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ لأنهم تركوا الحق بعد أن عرفوه فلا يرجعون إليه. اهـ

وقال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»: ظاهر هذه الآية أن المنافقين متصفون بالصمم والبكم والعمى، ولكنه تعالى بين في موضع آخر أن معنى صممهم، وبكمهم، وعماهم هو عدم انتفاعهم بأسماعهم، وقلوبهم، وأبصارهم وذلك في قوله جل وعلا: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[الأحقاف:٢٦].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[الأنفال:٢٠-٢٣].

قيل المراد بهم المشركون، وقيل: المنافقون فإنهم يظهرون أنهم قد سمعوا واستجابوا، وليسوا كذلك.

قال ابن كثير رحمه الله: ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا؛ لأن كلًا منهم مسلوب الفهم الصحيح، والقصد إلى العمل الصالح. اهـ

وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾[محمد:١٦].

فكان بعضهم يستمع لنبينا ﷺ ولعدم رغبتهم في الحق والعلم النافع والعمل الصالح، لا يعون ولا ينتفعون، فإذا خرجوا من عنده ﷺ سألوا الصحابة الذين وصفهم الله بالعلم، فعلموا، وعملوا، وعلَّمُوا، وأولئك طبع الله على قلوبهم، واتبعوا أهواءهم.

وإذا قاموا ببعض العبادات يقومون وهم كسالى لعدم رغبتهم فيها وإنما من أجل مراءاة الناس

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء:١٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾[التوبة:٥٤].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾[الماعون:٤-٧].

وروى البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣): عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا في رؤية الله يوم القيامة: ثُمَّ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ... فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ اليَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ:

أَنْتَ رَبُّنَا، فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لله رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا». الحديث.

أثر لمعاوية الهذلي

قال الإمام الفريابي في «صفة المنافقين» (٤٤): حدثنا تميم بن المنتصر، أنبأنا يزيد بن هارون، أنبأنا حريز بن عثمان، أنبأنا سليم بن عامر، عن معاوية الهذلي، وكان من أصحاب النبي ﷺ قال: (إن المنافق ليصلي فيكذبه الله، ويصوم فيكذبه الله، ويقاتل فيقتل، فيجعل في النار. **رجاله ثقات وإسناده صحيح إن شاء الله.**

سُليم بن عامر: هو الكلاعي، ويقال الجنائزي الحمصي.

ومعاوية الهذلي: ترجمه الحافظ ابن حجر في «الإصابة» فقال: ذكره البخاري في الصحابة، وقال ابن منذة: عداده في أهل حمص.

وأخرج البغوي وجعفر الفريابي في كتابه «صفة المنافق» وابن منده من طريق حريز بن عثمان به، فذكره.

ثم قال: ووقع في رواية جعفر من طريق يزيد بن هارون، عن حريز رفع الحديث، والمحفوظ أنه موقوف كذا قال بشر بن بكر، وعلي بن عياش، وأبو اليمان، وغيرهم عن حريز. اهـ

قلت: وقع في مطبوع «صفة المنافقين»: الذي بين أيدينا هذا الأثر موقوفًا، فلعله تصرف من غير المؤلف أو وجد في بعض النسخ موقوفًا وفي أخرى مرفوعًا، والله أعلم.

قلوبهم مملوءة بالبغض والغيظ على المؤمنين وقد ظهر ذلك على جوارحهم وهم حريصون غاية الحرص من إيصال الضرر والمشقة بهم

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[آل عمران:١١٨-١١٩].

قال الإمام الفريابي رحمه الله في «صفة النفاق» (١٠١): حدثنا أبو بكر وعثمان ابنا أبي شيبة قالا: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن خيثمة قال: كان قومه يؤذونه، فقال: (إن هؤلاء يؤذونني، ووالله ما طلب أحدٌ منهم حاجة إلا قضيتها، ولا دخل على أحدٍ منهم مني أَذى، ولأَنا أَبغض فيهم من الكلب الأَسود، أتدرون ممَّ ذلك؟ إنه والله ما أحب منافقٌ مؤمنًا أبدًا). **سنده صحيح** إلى خيثمة.

الصلاة كبيرة وثقيلة عليهم لاسيما صلاة العشاء والفجر

قال الله سبحانه تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾[البقرة:٤٥].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ العِشَاءِ وَصَلَاةُ الفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»**.

رواه البخاري (٦٥٧)، ومسلم تحت رقم (٦٥١).

وقال الإمام أحمد رحمه الله (٥/ ٥٧): ثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن أبي عمير بن أنس، عن عمومته من أصحاب النبي ﷺ أنه قال: «**لَا يَشْهَدُهُمَا مُنَافِقٌ**»، يعني صلاة الصبح والعشاء، قال أبو بشر يعني لا يواظب عليهما.

هذا حديث صحيح. وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل رحمه الله.

قال الحافظ ابن حجر: دلَّ هذا على أن الصلاة كلها ثقيلة على المنافقين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾[التوبة:٥٤]، وإنما كانت العشاء والفجر أثقل عليهم من غيرها لقوة الداعي إلى تركها؛ لأن العشاء وقت السكون والراحة. والصبح وقت لذة النوم، وقيل: وجهه كون المؤمنين يفوزون بما ترتب عليهما من الفضل لقيامهم بحقها دون المنافقين. اهـ

وقال ابن رجب رحمه الله في كتابه «فتح الباري» (٦/ ٣٤-٣٥): وإنما ثقلت هاتان الصلاتان في المساجد على المنافقين أكثر من غيرهما من الصلوات؛ لأن المنافقين كما وصفهم الله في القرآن: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء:١٤٢]، والمرائي إنما ينشط للعمل إذا رآه الناس، فإذا لم يشاهدوه ثقل عليه العمل.

وقد كان النبي ﷺ يصلي هاتين الصلاتين في الظلام، فإنه كان يغلس بالفجر غالبًا، ويؤخر العشاء الآخرة، ولم يكن في مسجده حينئذٍ مصباح، فلم يكن يحضر معه هاتين الصلاتين إلا مؤمن يحتسب الأجر في شهودهما، فكان المنافقون يتخلفون عنهما ويظنون أن ذلك يخفى على النبي ﷺ.

وأيضًا فالمشي إلى المساجد في هذين الوقتين أشق لما فيه من المشي في الظُّلَم...اهـ

من ترك ثلاث جمع طُبع على قلبه وجعل قلبه قلب منافق

قال الإمام القاضي أبوبكر أحمد بن علي المروزي في كتابه «الجمعة وفضلها» (٦٣): حدثنا القواريري، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا شعبة، عن محمد بن عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة، عن عمه، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثًا، طُبِعَ عَلَى قَلْبِهِ، وَجُعِلَ قَلْبُهُ قَلْبَ مُنَافِقٍ**».

رجاله ثقات، وعم محمد بن عبدالرحمن هو يحيى بن أسعد بن زرارة، مختلف فيه صحبته، فممن قال بصحبته: ابن حبان، وابن أبي عاصم، والبغوي، وقطع المزي بأن لا صحبة له، والله أعلم.

ورواه أبويعلى في «مسنده» (٧١٦٧) قال: حدثنا محمد بن الخطاب، حدثنا الجُدِّي، أخبرنا شعبة، عن [سعد بن إبراهيم](١)، عن محمد بن عبدالرحمن قال: سمعت عَمِّي يحدث عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلَمْ يَأْتِ - أَوْ لَمْ يُجِبْ - ثُمَّ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِ - أَوْ فَلَمْ يُجِبْ - ثُمَّ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِ - أَوْ لَمْ يُجِبْ - طَبَعَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَى قَلْبِهِ، فَجُعِلَ قَلْبَ مُنَافِقٍ**».

محمد بن الخطاب ذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: البلدي الزاهد، سكن الموصل، يروي عن المؤمل بن إسماعيل وأبي نعيم والكوفيين، حدثنا عنه أبويعلى وأهل الموصل. اهـ

والجُدِّي هو عبدالملك بن إبراهيم القرشي الحجازي المكي، صدوق، كما في «التقريب». وذكر الهيثمي في «المجمع» (٢/ ١٩٣) أنه قد اختلف فيه على شعبة،

---

(١) قال المحقق: هذا الاسم مقحم في الإسناد أقحامًا، وأظن أنه خطفة نظر من الإسناد التالي؛ لأن شعبة يروي مباشرة عن محمد بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة.

فرواه عنه عبدالملك بن إبراهيم الجُدِّي والنضر بن شميل عن شعبة عن محمد بن عبدالرحمن عن عمِّه، ورواه أبوإسحاق الفزاري عن شعبة عن محمد بن عبدالرحمن عن ابن أبي أوفى، ثم ذكر حديث ابن أبي أوفى مرفوعًا، وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وفيه من لم يعرف. اهـ وأيضًا يظهر أنه شاذ؛ لأن أبا إسحاق الفزاري إبراهيم ابن محمد بن الحارث - وإن كان ثقة حافظًا – لكن خالف يحيى بن سعيد القطان، وهو ثقة متقن حافظ إمام قدوة، والنضر بن شميل ثقة ثبت، والجُدِّي صدوق.

ورواه عبدالرزاق في «المصنف» (٣/ ١٦٥) عن معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن محمد بن عبدالرحمن بن ثوبان، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لا أعلمه إلا رفع الحديث إلى النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَمِعَ الأَذَانَ ثَلَاثَ جُمُعَاتٍ ثُمَّ لَمْ يَحْضُرْ كُتِبَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ**».

إسناده صحيح إن كان محمد بن عبدالرحمن بن ثوبان سمع من الصحابي المبهم، ورجاله ثقات.

ورواه ابن أبي عمر في «كتاب الإيمان» رقم (٤) من طريق عبدالرزاق، وسقط ذكر الصحابي المبهم.

ورواه البغوي وابن أبي خيثمة كما في «الإصابة» ترجمة أبي زرارة الأنصاري (٩٩٣٦) من طريق أبان العطار، عن يحيى بن أبي كثير، عن محمد بن عبدالرحمن بن ثوبان، عن أبي زرارة الأنصاري أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ ثَلَاثًا فَلَمْ يُجِبْ كُتِبَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ**». وأخرجه عن شيخ آخر عن أبان مرسلًا. اهـ

قلت: ففي هذا الإسناد تسمية الصحابي المبهم.

وأبوزرارة قد اختلف في صحبته، فقد ذكره ابن أبي خيثمة في الصحابة، وقال أبوعمر: فيه نظر، وقال البغوي: لم يسم ولا أدري له صحبة أم لا.

وفي إسناد عبدالرزاق التصريح بصحبته.

فالحديث بما قبله صحيح لغيره.

التخلف عن الجماعة وتأخير الصلاة

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من سرَّه أن يلقي الله تعالى غدًا مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سُنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به، يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف. رواه مسلم.

وفي رواية له: قال إن رسول الله ﷺ علَّمَنَا سنن الهدى، وإنَّ من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**» رواه مسلم (٦٢٢)، وأبو داود والنسائي، والترمذي.

المساجد التي هي أحبُّ البقاع إلى الله للمنافقين بمثابة الأقفاص للطيور وقد يخرجون منها بعد النداء لغير حاجةٍ ولا يرجعون

قال الإمام الطبراني في «الأوسط» (٣٨٥٤): حدَّثنا علي بنُ سعيد الرازيُّ، قال: حدَّثنا أَبو مُصعب، قال: حدَّثنا عبد العزيز بنُ أَبي حازم، قال: حدَّثني أَبي

وصفوانُ بنُ سُلَيْم عن سعيد بن المسيِّب عن أَبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَسْمَعُ النِّدَاءَ فِي مَسْجِدِي هَذَا، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا لِحَاجَةٍ، ثُمَّ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ إِلَّا مُنَافِقٌ**».

لم يروِ هذا الحديث موصولًا عن أَبي هريرة غيرصفوان وأَبي حازم إلا ابن أَبي حازم، تفرد به أَبو مصعب هكذا في المطبوع الذي عندنا وفي «الصحيحة» للشيخ الألباني (٢٥١٨): وقال: تفرد به أَبو مصعب، ولم يروِه موصولًا عن أَبي هريرة غير صفوان وأَبي حازم.

الحديث رجاله ثقات رجال الشيخين عدا شيخ الطبراني علي بن سعيد، وهو ابن بشير حافظ رحَّال جوَّال. قال مسلمة بن قاسم: كان ثقةً عالمًا بالحديث حدَّثني عنه غير واحد، وقال الدار قطني: ليس بذاك تفرد بأشياء، وسئل عنه مرَّةً فقال: ليس في حديثه بذاك، وسمعت بمصر أَنَّه كان يُطالبهم بالخراج فما يعطونه، فيجمع الخنازير في المسجد، فقلت: كيف هو في الحديث؟ قال: حدَّث بأَحاديث لم يُتابع عليها، وقال: هو كذا وكذا، ونفض بيده يقول: ليس بثقة. وقال ابن يونس: تكلَّموا فيه، قال الحافظ لعلَّ كلامهم فيه من جهة دخوله في أعمال السُّلطان. اهـ من «لسان الميزان».

وقال الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة»: هو حافظ حسن الحديث.

وأبو مصعب اسمه أحمد بن أَبي بكر.

الحديث رواه أَبو داود في «مراسيله» (٢٥) من طريق الأوزاعي وغيره، والدَّارمي (٤٦٠) من طريق الأوزاعي، وعبدالرزاق في «مصنَّفه» (١٩٤٦)، والبيهقي (٣/ ٥٦) من طريق سُفيان بن عُيينة. كلهم عن عبد الرحمن بن حرملة الأَسلميُّ عن سعيد بن المسيِّب مرسلًا.

وعبد الرحمن بن حرملة صدوق رُبَّما أَخطأ كما في «التقريب»، وهذا لا يُعِلُّ المرفوع إذ أَنَّ الذي رفعه ثقتان وهما: أبو حازم وصفوان، فهو أَصح إن سلم من وَهْمِ شيخ الطبراني.

وذكر الشيخ الألباني أَنَّ له طريقًا أُخرى بنحوه عن أَبي هريرة وفيها كلام.

ورواه ابن ماجه (٧٣٤) عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَدْرَكَهُ الأَذَانُ فِي المَسْجِدِ ثُمَّ خَرَجَ لَمْ يُخْرِجْهُ لِحَاجَةٍ وَهُوَ لَا يُرِيدُ الرَّجْعَةَ فَهُوَ مُنَافِقٌ**». وفي سنده إسحاق بن عبد الله بن أَبي فروة متروك.

قال الشيخ الألباني رحمه الله في «الصحيحة»: واعلم أَنَّ الحديث ظاهرُ لفظِهِ اختصاص الحكم المذكور فيه بمسجد الرسول ﷺ، ولكنه من حيث المعنى عامٌّ لكل المساجد، للأَحاديث الكثيرة الدَّالة على وجوب صلاة الجماعة. والخروج من المسجد يُفوِّتُ عليه الواجب، فتنبَّه ويؤيِّدُ ذلك ما روى أَبو الشعثاء قال: كُنَّا مع أَبي هُريرة في المسجد، فخرج رجل حين أَذَّنَ المؤذِّن للعصر، فقال أبو هريرة: أَمَّا هذا فقد عصى أَبا القاسم ﷺ. أَخرجه مسلم وغيره. اهـ

وقد تفرَّد به شَريك القاضي وهو سيء الحفظ عن سائر الرواة بزيادة: (أمرنا رسول الله ﷺ فقال: «**إِذَا كُنْتُمْ فِي المَسْجِدِ فَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ، فَلَا يَخْرُجُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُصَلِّيَ**») أَخرجه الطيالسي وأحمد. انظر «الإرواء» (٢٤٥).

لا يذكرون الله إلا قليلاً

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[النساء:١٤٢].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**».

رواه مسلم (٦٢٢)، وأبو داود والنسائي والترمذي.

وقال الإمام محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٩١): حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أنا يحيى بن آدم، ثنا مفضل بن مهلهل، عن الشيباني، عن قيس ابن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: كنت عند عليٍّ حين فرغ من قتال أهل النهروان، فقيل له: أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا، فقيل: منافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلًا، قيل: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم.

سنده صحيح،ورجاله ثقات.

الشيباني هو سليمان بن أبي سليمان فيروز أبوإسحاق، وقيس بن مسلم هو الجدلي.

وقال - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - (٥٩٣): حدثنا وكيع، ثنا ابن أبي خالد، عن حكيم ابن جابر، قال: قالوا لعليٍّ حين قتل أهل النهروان: أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا، قيل: فمنافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلًا، قيل: فما هم؟ قال: قوم حاربونا فحاربناهم، وقاتلونا فقاتلناهم.

سنده صحيح، ورجاله ثقات.

حكيم بن جابر هو ابن طارق بن عوف الأحمسي، قال البخاري في «التاريخ الكبير»: سمع أبناه وعمر، وذكر أثرًا وفيه التصريح بسماعه من ابن مسعود، أقول: فمن باب أولى أن يكون سمع من علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -.

وأهل النهروان هم الخوارج الذي نزلوا النهروان.

يتربصون بالمؤمنين الدوائر فإن كان لهم الظَفَر توددوا إليهم وإن كان للكافرين نصيب من الإدالة على المؤمنين أظهروا ولاءهم لهم وأنهم لم يألوا جهدًا في تخذيل المؤمنين

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾[النساء:١٤١].

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾[العنكبوت:١٠-١١].

فإذا فُتِنُوا انقلبوا على أعقابهم، وإذا حصل النصر والظفر للمؤمنين قالوا: إنا معكم.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ فتعجبك لمَا يظهرون فيها من الحلاوة واللحن وهم يبطنون الشَر في قلوبهم

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ﴾[المنافقون:٤].

قال ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» : أحسن الناس أَجسامًا، وأَخلبهم لسانًا، وأَلطفهم بيانًا، وأَخبثهم قلوبًا، وأضعفهم جنانًا، فهم كالخشب

المسندة التي لا ثمر لها، قد قُلِعت من مغارسها فتساندت إلى حائطٍ يقيمها، لئلا يطأها السالكون.

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾[البقرة:٢٠٤].

قوله: ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ ﴾[البقرة:٢٠٤] بفتح لفظ الجلالة وهذه قراءة الجمهور: ومعناه أنه يظهر للناس الإسلام ويبارز الله بما في قلبه من الكفر والنفاق. اهـ من «تفسير ابن كثير».

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾[محمد:٣٠].

قال الإمام أحمد (١/ ٢٢): حدثنا أبو سعيد، حدثنا ديلم بن غزوان عبدي، حدثنا ميمون الكردي، حدثني أبو عثمان النهدي، عن عمر بن الخطاب: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمُ اللِّسَانِ**».

ورواه عبد بن حميد (١١)، والبزار كما في «كشف الأستار» (١/ ٩٧)، والفريابي في «صفة المنافق»، والبيهقي في «الشعب» (١٧٧٧)، من طرق عن ديلم بن غزوان به.

وتابع ديلم بن غزوان الحسن بن أبي جعفر، عند الفريابي في «صفة النفاق» رقم (٢٦)، ورواه الفريابي في «صفة النفاق» رقم (٢٧)، من طريق المعلى بن زياد، عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب وهو على منبر رسول الله ﷺ: أكثر من عدد أصابعي هذه وهو يقول: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ المُنَافِقُ العَلِيمُ**» قيل: وكيف يكون المنافق العليم؟ قال: «**عَالِمُ اللِّسَانِ، جَاهِلُ القَلْبِ وَالعَمَلِ**».

قال الدارقطني في «العلل» (٢/ ٢٤٦)، بعد أن ذكر رواية المعلى بن زياد الموقوفة: وكذا رواه حماد بن زيد، عن ميمون الكردي، عن أبي عثمان، عن عمر قوله... والموقوف أشبه بالصواب. اهـ

وجاء عن عمران بن حصين، وهو معل.

رواه البزار كما في «كشف الأستار» (١/ ٩٧)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٨٠)، من طريق خالد بن الحارث، ثنا حسين المعلم، عن عبد الله بن بريدة، عن عمران بن حصين قال: حذَّرنا رسول الله ﷺ كلَّ منافق عليم اللسان.

قال البزار عقبه: لا نحفظه إلا عن عمر، وإسناد عمر صالح فأخرجناه عنه، وأعدناه عن عمران لحسن إسناد عمران. اهـ

وتابع خالد بن الحارث معاذ بن معاذ، عند الفريابي في «صفة المنافق» رقم (٢٤)، والطبراني في «الكبير» (١٨ رقم٥٩٣)، ولكن سئل الدراقطني في «العلل» (٢/ ١٧٠)، عن حديث عبد الله بن بريدة، عن عمر، عن النبي ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ كُلِّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ**»، فقال: هو حديث رواه حسين المعلم، واختلف عنه فرواه معاذ بن معاذ عن حسين المعلم عن ابن بريدة، عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ، ووهم فيه.

ورواه عبد الوهاب بن عطاء، وروح بن عبادة وغيرهما.

عن حسين عن ابن بريدة، عن عمر بن الخطاب وهو الصواب في قصة طويلة. اهـ

وابن بريدة لم يسمع من عمر. قال أبو زرعة: مرسل كما في «جامع التحصيل».

وفي الباب حديث ثوبان، قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/ ٢٧٨): حدثنا عبد الرحمن، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ**».

وأخرجه من طريق سليمان بن حرب. وفي (٥/ ٢٨٤) من طريق عفان كلاهما عن حماد به.

الحديث أخرجه الترمذي (٢٢٢٩)، من طريق قتيبة بن سعيد، وأبو داود (٤٢٥٢)، من طريق سليمان بن حرب، ومحمد بن عيسى كلهم، عن حماد بن زيد.

وأخرجه ابن ماجة (٣٩٥٢)، من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة: أنه حدثهم عن أبي قلابة الجرمي به.

وأخرجه غيرهم والحديث صحيح على شرط مسلم.

وقد خالف حماد بن زيد، معمر بن راشد، عند أحمد (٤/ ١٢٣)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٣٢٩١)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٤٥٧٠)، وغيرهم فرواه عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أَبِي أَسماء الرحبي، عن شداد بن أوس مرفوعًا فذكره بطوله، والصواب رواية حماد بن زيد؛ لأنه أثبت الناس في أيوب، وفي «تهذيب الكمال» قال يحيى بن معين: إذا خالف الناس حماد بن زيد في أيوب فالقول قوله.

وأيضًا رواية معمر، عن البصريين فيها كلام، وأيوب بن أبي تميمة بصري.

وجاء عن أبي الدرداء، رواه أحمد (٦/ ٤٤١)، والدرامي (٢١٧)، والراوي عن أبي الدرداء رجل مبهم، وسقط من مطبوع الدرامي ولكن يشهد له حديث ثوبان.

أثر حذيفة رضي الله عنه

قال الإمام الفريابي في «صفة المنافقين» (٤٣): حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن حكيم بن جابر قال: قال حذيفة: (إن من اقرأ الناس المنافق الذي لا يترك واوًا ولا ألفًا يلفته كما تلفت البقرة الخلا بلسانها).

قال المحققان: ورد في (مطبوع عطا) بلفظ: (يلعقه كما تلعق الباقرة الجلال بلسانها).

الأثر صحيح إن شاء الله.

رجاله ثقات وعبد الله بن إدريس: هو الأودي، وحكيم بن جابر، هو الأحمسي الكوفي، قد سمع من أبيه، وعمر وابن مسعود كما في «التاريخ الكبير» للبخاري ومات حذيفة سنة (٣٦هـ) أول خلافة علي، فكانت وفاته بعد وفاة عمر بن الخطاب، وابن مسعود، ومات حكيم سنة (٩١)، وقيل: (٩٣)، وقيل: (٩٥) فقد حصلت المعاصرة واللقاء ممكن.

أثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال الإمام الفريابي رحمه الله (٣١): حدثني زكريا بن يحيى البلخي، حدثنا وكيع، عن مالك بن مغول، عن أبي حصين، عن زياد بن حدير قال: قال عمر بن الخطاب: (يهدم الإسلام ثلاث: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون).

وأخرجه الدرامي في «سننه» (٢٢٠) فقال رحمه الله: أخبرنا محمد بن عيينة أنا علي هو ابن مسهر، عن أبي إسحاق، عن الشعبي، عن زياد بن حدير قال: قال لي

عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قال: قلت: لا، قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين.

وأخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٦٠٧)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٨٦٧، ١٨٦٩، ١٨٧٠)، من طريق جماعة عن الشعبي به.

الأثر صحيح، رجاله كلهم ثقات، وزياد بن حدير كان كاتبًا لعمر بن الخطاب، كما في «سؤالات البرقاني» للدارقطني نقلًا من حاشية «تهذيب الكمال».

من صفاتهم الكذب

قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴾[المنافقون:١].

وقال الله: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾[التوبة:١٠٧].

وقال تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[التوبة:٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾[التوبة:٤٢].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾[المجادلة:١٨].

وقال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾[التوبة:٤٣].

جاءوا إلى النبي ﷺ يستأذنونه في التخلف، فأذن لهم فقال الله له: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ ﴾ لك الصادق من الكاذب، فعتذر من يستحق العذر ممن لا يستحق ذلك.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ ﴾[النور:١١].

والإفك: هو الكذب والبهت.

والذي تولى كبر هذه الحادثة هو عبد الله بن أبي ابن سلول.

وقال الإمام البخاري رحمه الله (٣٣): حدثنا سليمان بن الربيع قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر قال: حدثنا نافع بن مالك بن أبي عامر أبو سهيل، عن أبيه، عن

أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**».

ورواه مسلم (٥٩)، وفي رواية لمسلم: «**وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن النبي ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**».

رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

وروى البخاري (٤٤١٨)، ومسلم من حديث كعب بن مالك الطويل في قصة توبته وصاحبيه، وفي أواخره قال كعب بن مالك: فوالله ما أنعم الله عليَّ من نعمة قط، بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك، كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحدٍ، فقال تبارك وتعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[التوبة:٩٥-٩٦].

وعن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاةٍ فسمعت عبد الله بن أُبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي -أو لعمر- فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني همٌ لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمر: ما أردت إلى أن أكذبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله تعالى: إذا جاءك، فبعث إليّ النبي ﷺ فقرأ فقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ**». رواه البخاري (٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٧٢).

أثر الحسن البصري

قال الإمام الفريابي (٥١): حدثنا هشام بن عمار الدمشقي، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، حدثنا عوف الأعرابي، عن الحسن قال: (كان يقال: النفاق اختلاف السر والعلانية، والقول والعمل، والمدخل والمخرج، وكان يقال أُسُّ النفاق الذي يبني عليه النفاق الكذب).

سنده حسن، وعوف الأعرابي هو بن أبي جميلة البصري.

العزم على خلف الوعد

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[التوبة:٧٥-٧٧].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[الحشر:١١-١٢].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**». رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

وفي رواية لمسلم: «**وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**».

وفي بعض طرقه عند مسلم: «**مِنْ عَلَامَاتِ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ**» وذكرها.

خيانة الأمانة

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الأحزاب:٧٢-٧٣].

فعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات لخيانتهم الأمانة، ولعدم قيامهم بها، وأثاب المؤمنين والمؤمنات لقيامهم بها، وتاب عليهم ورحمهم وغفر لهم.

قال ابن قتيبة كما في «زاد المسير» لابن الجوزي: المعنى عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافق، وشرك المشرك فيعذبهم الله، ويظهر إيمان المؤمنين فيتوب الله عليهم، أي: يعود عليهم بالرحمة، والمغفرة، إن وقع منهم تقصير في الطاعات. اهـ

وقال السعدي رحمه الله في «تفسيره» : فانقسم الناس بحسب قيامهم بها وعدمه إلى ثلاثة أقسام:

منافقون أظهروا أنهم قاموا بها ظاهرًا لا باطنًا.

ومشركون تركوها ظاهرًا وباطنًا.

ومؤمنون قائمون بها ظاهرًا وباطنا... اهـ

ومن الأدلة حديثا أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص السابقين في وصفهم بالكذب.

نقض العهود

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[التوبة:٧٥-٧٧].

وحديث عبد الله بن عمرو، وفيه: «**وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ**».

اللدد و الفجور في الخصومة

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾[البقرة:٢٠٤].

قال ابن كثير في «تفسيره» قوله: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾، الألد في اللغة الأعوج، ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾[مريم:٩٧] أي: عوجًا، وهكذا المنافق في حال خصومته يكذب، ويُزوِّر عن الحق، ولا يستقيم معه، بل يفتري ويفجر.

وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «**أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ**». رواه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨).

(الألد): شديد الخصومة، مأخوذ من لديدي الوادي وهما جانباه؛ لأنه كلما احتجَّ عليه بحجة أخذ في جانب آخر.

(الخصم) بفتح المعجمة، وكسر الصاد المهملة، أي الحاذِقْ بالخصومة. والمذموم: هو الخصومة بالباطل، في رفع حق أو إثبات باطل.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن النبي ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**».

رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

والفجور في الخصومة: أي الميل عن الحق، والاحتيال في رده، وهذا قد يندرج في الخصلة الأولى وهي الكذب في الحديث. قاله الحافظ في «الفتح».

وقال ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم»: ويعني بالفجور أن يخرج عن الحق عمدًا حتى يُصَيِّرَ الحقَّ باطلًا، والباطلَ حقًّا، وهذا مما يدعو إليه الكذب، كما قال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ**». اهـ

فمجموع الخصال المذكورة في حديثي أبي هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص خمس وهذا لا يدل على حصر صفات المنافق بهذه الخصال، ومما يؤكد هذا ما جاء في بعض طرق حديث أبي هريرة عند مسلم: «**مِنْ عَلَامَاتِ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ...**»، وهذه العلامات يتصف بها صاحب النفاق الاعتقادي كما دلت عليه الأدلة الكثيرة، وقد ذكرنا بعضها ولله الحمد، وقد توجد أو بعضها في بعض المسلمين، ويكون بذلك قد شابه المنافقين الاعتقاديين، وهي في حقه نفاق عملي محرم، ويخشى أن يؤول به إلى النفاق الاعتقادي الأكبر.

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح صحيح مسلم»: هذا الحديث -يعني حديث عبد الله بن عمرو- مما عدَّه جماعة من العلماء مشكلًا، من حيث إن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك، وقد أجمع العلماء على أن من

كان مصدقًا بقلبه ولسانه، وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر، ولا هو منافق يخلد في النار، فإن إخوة يوسف ﷺ جمعوا هذه الخصال، وكذا وجد لبعض السلف، والعلماء بعض هذا أو كله.

وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال، ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحققون والأكثرون، وهو الصحيح المختار، أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلِّقٌ بأخلاقهم، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال، ويكون نفاقه في حق من حدثه، ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس؛ لا إنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر، ولم يرد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار. اهـ المراد.

يكثرون من الأيمان الفاجرة ليستروا شرهم ونفاقهم

قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[التوبة:٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[التوبة:٥٦]. (يفرقون) أي: يخافون.

وقال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة:٩٦].

وقال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾[التوبة:٧٤].

وقال الله عنهم: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[المجادلة:١٤].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[المجادلة:١٦].

قال ابن كثير: أي أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، واتقوا بالأَيمان الكاذبة، فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم، فاغتر بهم، فحصل بهذا صدٌ عن سبيل الله لبعض الناس.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[المجادلة:١٨].

إذا حشرهم الله يوم القيامة يحلفون لله أنهم كانوا على الهدى، والاستقامة، كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا ظنًا منهم أن ذلك نافعهم، فأكذبهم الله بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[المجادلة:١٨].

وقال الإمام أحمد رحمه الله (١/ ٢٦٧): حدثنا حسن بن موسى، حدثنا زهير، حدثنا سماك، حدثني سعيد بن جبير: أن ابن عباس حدثه قال: كان رسول الله ﷺ في ظل حجرةٍ من حُجره، وعنده نفرٌ من المسلمين، قد كاد يقلص عنهم الظل، قال: فقال: «**إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ إِنْسَانٌ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ بِعَيْنَيْ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَتَاكُمْ، فَلَا تُكَلِّمُوهُ**» قال: فجاء رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فكلمه، قال: «**عَلَامَ تَشْتِمُنِي أَنْتَ، وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ؟**» نفر دعاهم بأسمائهم، قال: فذهب الرجل فدعاهم، فحلفوا بالله، واعتذروا إليه قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾[المجادلة:١٨] الآية.

رواه من طريق اسرائيل، عن سماك به.

وأخرجه الطبراني (١٢٣٠٨)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٢٨٢-٢٨٣)، من طريق عمرو بن خالد الحراني، عن زهير بن معاوية به.

ورواه أحمد (١/ ٢٤٠)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٢٢٧٠)، وابن جرير الطبري (٢٨/ ٢٣)، والطبراني (١٢٣٠٩) من طريق محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب به، غير أن فيه عند أحمد، والبزار فدخل رجل أزرق فقال: يا محمد، علام سببتني، أو شتمتني أو نحو هذا؟ قال: وجعل يحلف.

في تحقيق أحمد (٤/ ٤٨)، وقوله: (فقال: يا محمد، علام سببتني؟) كذا جاء في جميع الأصول، وكذلك هو في «مسند البزار»، وزيادة (يا محمد)، كما قال الشيخ أحمد شاكر خطأ ينافي السياق، فإن الذي نُسِبَ إليه السب والشتم هنا هو المنافق الأزرق، ورسول الله يسأله ويتهمه، وهو يحلف كاذبًا يتبرأ من التهمة، وقد جاء في «تفسير الطبري» على الصواب.

وعن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاةٍ فسمعت عبد الله بن أُبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي -أو لعمر- فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني همٌّ لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمر: ما أردت إلى أن أكذبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله تعالى: إذا جاءك، فبعث إليّ النبي ﷺ فقرأ فقال: «**إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ**».

رواه البخاري (٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٧٢).

الكِبْر

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[المنافقون:٥].

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ ثَنِيَّةَ الْمُرَارِ؛ فَإِنَّهُ يُحَطُّ عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**»، قال: فكان أول من صَعِدَها خيلُنا، خيلُ بني الخزرج، ثم تتام الناس، فقال رسول الله ﷺ: «**وَكُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ إِلَّا صَاحِبَ الجَمَلِ الأَحْمَرِ**»، فأتيناه فقلنا له: تعال يستغفر لك رسول الله ﷺ فقال: والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم. قال: وكان رجل ينشد ضالة له.

رواه مسلم (٢٧٨٠).

وفي رواية: «**مَنْ يَصْعَدُ ثَنِيَّةَ الْمُرَارِ أَوِ المِرَارِ**». وإذا هو أعرابي جاء ينشد ضالة له.

قال النووي في قوله: «**مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ ثَنِيَّةَ المِرَارِ**»، هكذا هو في الرواية الأولى: المُرَار، وفي الثانية: المُرار أو المَرار، بضم الميم وفتحها، على الشك وفي بعض النسخ بضمها أو كسرها، والمرار شجر مرّ.

وأصل الثنية الطريق بين الجبلين، وهذه الثنية عند الحديبية قال الحازمي: قال ابن إسحاق: هي مهبط الحديبية.

قوله: «**إِلَّا صَاحِبَ الجَمَلِ الأَحْمَرِ**» قال القاضي: قيل هذا الرجل هو الجد بن قيس المنافق.

وقال الإمام البخاري رحمه الله (٣٥١٨): حدثنا محمد، أخبرنا مخلد بن يزيد، أخبرنا ابن جريج قال: أخبرني عمرو بن دينار، أنه سمع جابرًا رضي الله عنه يقول:

غزونا مع النبي ﷺ وقد ثاب معه ناسٌ من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجل لَعَّاب، فكسع أنصاريًّا، فغضب الأنصاري غضبًا شديدًا حتى تداعوا وقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فخرج النبي ﷺ فقال: «**مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ؟**» ثم قال: «**مَا شَأْنُهُمْ؟**» فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري، قال: فقال النبي ﷺ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ**».

وقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أَفتداعوا علينا؟ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر: ألا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث؟ لعبد الله فقال النبي ﷺ: «**لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**». وأخرجه برقم (٤٩٠٥، ٤٩٠٧).

وأخرجه مسلم (٢٥٨٤)، وعنده وعند البخاري في الموضعين الآخرين: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**».

وقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**».

قوله: (رجل لَعَّاب) أي بطَّال، وقيل كان يلعب بالحراب كما تصنع الحبشة، وهذا الرجل هو جهجاه بن قيس الغفاري، وكان أجير عمر بن الخطاب، والأنصاري هو سنان بن وبرة حليف بني سالم الخزرجي. اهـ من «الفتح» (٦/ ٥٤٧).

والكسع: هو ضرب الدبر باليد أو الرجل.

وقوله ﷺ: (دعوها فإنها منتنة أو خبيثة)، أي: دعوى الجاهلية، وقيل: الكسعة، والأول هو المعتمد قاله الحافظ في «الفتح» (٦/ ٥٤٧)، وقال في (٨/ ٦٤٩)، وأَبْعَدَ من قال: المراد الكسعة.

يصدون عن سبيل الله ويعملون الأعمال السيئة

قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[المجادلة:١٦].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[المنافقون:٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾[هود:١٨-١٩].

ومن هؤلاء الظالمين الذين افتروا على الله الكذب، وعُرِضُوا على ربهم وصَدُّوا عن سبيله، المنافقون كما جاء التصريح بذكرهم في حديث ابن عمر في النجوى، وفيه: «**وَأَمَّا الكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، أَلَا لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ**». رواه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

أصحاب فتن يسعون بالفتنة والشر في أوساط المسلمين لينقصوهم ويضعفوهم ويفرقوا جماعتهم

قال تعالى: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٧ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ

ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[التوبة:٤٧-٤٩].

﴿خَبَالًا﴾ أي: فسادًا ونقصًا.

وقال تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية [الحديد:١٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[التوبة:١٠٧].

ومن فتنهم وتخذيلهم ما حصل من رئيس المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه يوم أحد حين رجعوا من أثناء الطريق، كما في حديث زيد بن ثابت في البخاري (١٨٨٤)، قال: لما خرج النبي ﷺ إلى أُحُدٍ رجع ناسٌ من أصحابه، فقالت فِرقةٌ نقتلهم، وقالت فِرقةٌ لا نقتلهم، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾[النساء:٨٨]، وقال النبي ﷺ: «إِنَّهَا تَنْفِي الرِّجَالَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الحَدِيدِ».

قال الحافظ قوله: (رجع ناس من أصحابه) هم عبد الله بن أُبي ومن تبعه. اهـ

فقيل لهؤلاء المنافقين: تعالوا قاتلوا في سبيل الله، أو ادفعوا عن محارمكم وبلدكم إن لم تكن لكم نية صالحة، ﴿قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ﴾[آل عمران:١٦٧].

قال ابن كثير رحمه الله: فإنهم يتحققون أن جندًا من المشركين قد جاءوا من بلاد بعيدة، يَتَحرَّقُونَ على المسلمين بسبب ما أُصيب من أشرافهم يوم بدر، وهم أضعاف

المسلمين، أَنَّهُ كائن قتال بينهم لا محالة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾[آل عمران:١٦٧]. اهـ

فبين الله ذلك بقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[آل عمران:١٦٦]، أي: جمع المسلمين وجمع المشركين في أحد، ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾[آل عمران:١٦٧].

ومن ذلك ما حصل منهم في غزوة الأحزاب قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ١٣ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا﴾[الأحزاب:١٣-١٤].

فطائفة منهم نادوا أهل المدينة وقالوا لهم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ أي: في موضعكم الذي خرجتم إليه خارج المدينة وكانوا عسكروا دون الخندق، وخارج المدينة ﴿فَٱرۡجِعُواْۚ﴾ أي: إلى المدينة، فهذه الطائفة تُخَذِّل عن الجهاد، وتبين أن لا قوة لهم بقتال عدوهم، ويأمرونهم بترك القتال، فهذه الطائفة شر الطوائف وأضرها.

وطائفة أخرى دونهم أصابهم الجبن والجزع، وأحبوا أن ينخذِلوا عن الصفوف، فجعلوا يعتذرون بالأعذار الكاذبة فيقولون: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ﴾ أي: عليها الخطر، ونخاف أن يهجم عليها العدو في حال غيبتنا عنها، فأكذبهم الله بقوله: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم﴾ أي: المدينة، ﴿مِّنۡ أَقۡطَارِهَا﴾ أي: لو دخل الكفار إليها من نواحيها، واستولوا عليها، ثم سئل هؤلاء

المنافقون ﴿ٱلۡفِتۡنَةَ﴾. أي: الكفر ﴿لَأٓتَوۡهَا﴾ أي: لأَعطوها وكفروا ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا﴾ أي: ليس لهم منعة، ولا تَصلُّبٌ على الدين، بل بمجرد ما تكون الدولة للأعداء، يعطونهم ما طلبوا ويوافقونهم على كفرهم، هذه حالهم. انتهى من تفسير السعدي بتصرف يسير.

قال الإمام أحمد رحمه الله (٦/ ٨٦-٨٧): حدثنا أبو المغيرة قال: حدثنا الوليد ابن سليمان قال: حدثني ربيعة بن يزيد، عن عبد الله بن عامر، عن النعمان بن بشير، عن عائشة قالت: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان، فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فلمَّا رأينا رسول الله ﷺ أقبلت إحدانا على الأخرى، فكان من آخر كلامٍ كلمه أن ضرب منكبه وقال: «**يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَانِي، يَا عُثْمَانُ، إِنَّ اللهَ عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَانِي**» - ثَلَاثًا - فقلت لها: يا أم المؤمنين، فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله، فما ذكرته.

قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان، فلم يرض بالذي أخبرتُه حتى كتب إلى أم المؤمنين أَن اكتبي إليّ به، فكتبت إليه به كتابًا. **حديث صحيح**. رجاله رجال الصحيح، إلا الوليد بن سليمان وهو ثقة وأخرجه الترمذي.

فقال: حدثنا محمود بن غيلان، حدثنا حُجين بن المثنى، حدثنا الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن ربيعة بن يزيد به مختصرًا.

قال السندي: قوله: (أين كان هذا عنك) أي: حين أَرادوا خلعه أو قتله كان اللائق أن تذكري لهم هذا حينئذٍ، فَلِمَ تركتِ ذلك. اهـ

يتتبعون الفتن ويتتبعون أهلها

قال الحاكم رحمه الله (٤/ ٥٤٣): حدثنا محمد بن صالح بن هانيء، ثنا السري ابن خزيمة، ثنا موسى بن إسماعيل، ثنا حماد بن سلمة، ثنا خالد الحذاء، عن عبد الله ابن شقيق، عن محجن بن الأدرع رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال: «**يَوْمُ الخَلَاصِ، وَمَا يَوْمُ الخَلَاصِ**» ثلاث مرات، فقيل: يا رسول الله، وما يوم الخلاص؟ فقال: «**يَجِيءُ الدَّجَالُ فَيَصْعَدُ أُحُدًا، فَيَطَّلِعُ فَيَنْظُرُ إِلَى المَدِينَةِ فَيَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: أَلَا تَرَوْنَ إِلَى هَذَا القَصْرِ الأَبْيَضِ، هَذَا مَسْجَدُ أَحْمَدَ، ثُمَّ يَأْتِي المَدِينَةَ فَيَجِدُ بِكُلِّ ثُقْبٍ مِنْ أَنْقَابِهَا مَلَكًا مُصْلَتًا، فَيَأْتِي سَبَخَةَ الجُرُفِ فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ، ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ، وَلَا فَاسِقٌ وَلَا فَاسِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ فَتَخْلُصُ المَدِينَةُ، وَذَلِكَ يَوْمُ الخَلَاصِ**». هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه والحديث في «الجامع الصحيح» لشيخنا مقبل رحِمَهُ الله.

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٨٨١): حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنا الوليد، حدثنا أبو عمرو، حدثنا إسحاق، حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ**».

الحديث أخرجه مسلم (٢٩٤٣)، وعنده: «**فينزل بالسَّبَخَةِ فترجف المدينة**».

وفي رواية: «**فَيَأْتِي سَبَخَةَ الجُرُفِ فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ** وَقَالَ: **فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ**».

و(السَّبَخَة) في «لسان العرب»: أرض ذات ملح ونَزٍّ. وجمعها سباخٌ... والسَّبَخَةُ: الأرض المالحة.

قوله: (فيضرب رِوَاقه) أي: ينزل هناك ويضع ثقله.

والدجال أعظم فتنة:

ففي مسلم من حديث عمران بن حصين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ**».

قال النووي: قوله «**خلق أكبر من الدجال**»، المراد أكبر فتنة وأعظم شوكة. اهـ

ولذلك حذَّرنا رسولنا ﷺ منه ومن شبهاته، وأمرنا بالبعد عنه بمجرد السماع كما في حديث عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ، فَوَالله إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتْبَعُهُ مِمَّا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، أَوْ لِمَا يَبْعَثُ مِنَ الشُّبُهَاتِ**» هكذا قال.

أخرجه أبو داود، وابن أبي شيبة قال شيخنا في «الصحيح المسند»: هذا حديث صحيح.

يتولى بعضهم بعضًا ويتولون إخوانهم الكفار، ويبتغون العزة منهم

قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾[التوبة:٦٧].

قال السعدي رحمه الله: لأنهم اشتركوا في النفاق فاشتركوا في تولي بعضهم بعضًا.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[المجادلة:١٤].

قال ابن كثير رحمه الله: يقول الله تعالى منكرًا على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن، وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين... اهـ

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[الحشر:١١-١٢].

وقال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[النساء:١٣٨-١٣٩].

وقال تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴾[المائدة:٥٢-٥٣].

أخبر سبحانه وتعالى أن الذين في قلوبهم مرض الشك والنفاق يسارعون في موالاة اليهود والنصارى بحجة أنهم يخشون أن تكون الدائرة للكافرين، فتكون لهم عندهم أيادٍ، وهذا من سوء ظنهم بالإسلام فرد الله عليهم بقوله: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾[محمد:٢٥-٢٦].

قال ابن كثير: أي مالئوهم وناصحوهم في الباطن على الباطل، وهذا شأن المنافقين يظهرون خلاف ما يبطنون؛ ولهذا قال الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ﴾ أي: ما يسرون وما يخفون، الله مطلع عليه عالم به. اهـ

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة:١٠٧-١٠٨].

الشاهد قوله: ﴿وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، أي: إعدادًا وإعانة للمحاربين لله ورسوله.

يودُّون كُفر المسلمين كما كفروا

قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا﴾[النساء:٨٨-٨٩].

التجسس على المسلمين ونقل أَسرارهم إلى أعدائهم

ولهذا نهانا الله أن نتخذهم وغيرهم من الكفار بِطانةً لنا قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾[آل عمران:١١٨].

و(البطانة): مصدر يُسمى به الواحد والجمع. وبطانة الرجل: خاصَّته الذين يستبْطِنُون أمره.

وقوله: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: أي لا يقصرون فيما فيه الفساد والضرر عليكم.

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٠٠٧): حدَّثنا علي بن عبد الله، حدَّثنا سفيان، حدَّثنا عمرو بن دينار سمعت منه مرَّتين قال: أَخبرني حسن بن محمد، قال: أَخبرني عبيد الله بن أَبي رافع قال: سمعت عليًّا رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ أَنا والزُّبير والمقداد بن الأسود، وقال: «**انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا**» فانطلقنا تعادى بنا خيلُنا حتَّى انتهينا إِلى الروضة، فإذا نحن بالظَّعينة، فقلنا: أَخرجي، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لَتُخْرِجِنَّ الكتاب، أَو لَنُلقِينَّ الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أَبي بلتعة إِلى أُناسٍ من أهل مكَّة يُخبِرهم ببعض أَمرِ رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟**» قال: يا رسول الله لا تعجل عليَّ، إِنِّي كنت امْرَأً ملصقًا في قريش، ولم أكن من أنفسِها، وكان من معك من المهاجرين لهم قراباتٌ بمكة يحمون بها أَهليهم وأَموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النَّسب فيهم أَن أَتَّخذَ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرًا ولا ارتدادًا ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**قَدْ صَدَقَكُمْ**» فقال عُمر: يا رسول الله، دعني أَضْرِبْ عُنُق هذا المنافق. قال: «**إِنَّه شَهِدَ بدرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**» وأخرجه مسلم (٢٤٩٤)، وقد بوب عليه البخاري: (باب الجاسوس).

وقال الإمام النَّووي في «شرح صحيح مسلم»: وفيه أنَّ الجاسوس وغيره من أَصحاب الذنوب الكبائر لا يكفرون بذلك، وهذا الجنس كبيرة قطعًا؛ لأنه يتضمّنُ إيذاء النَّبيَّ ﷺ وهو كبيرة بلا شك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[الأحزاب:٥٧] وفيه: أَنَّه لا يحد العاصي ولا يُعزَّر إلا بإذن الإمام. اهـ

فقد استدل عمر بن الخطاب بإرسال حاطب ذلك الكتاب إلى قريش وما فيه من إِخبارهم بغزو رسول الله ﷺ لهم بِأنه منافق، فأخبره النَّبيَّ ﷺ بِأَنَّه مِمَّن شَهِدَ بدرًا، وقد قال الله: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

يظنون بالله ظن السوء

قال الله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[الفتح:٦].

قال السعدي رحمه الله: وأما المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات فإن الله يعذبهم بذلك، ويريهم ما يسوؤهم، حيث كان مقصودهم خذلان المؤمنين، وظنوا بالله ظن السوء، أنه لا ينصر دينه، ولا يُعلي كلمته، وأن أهل الباطل، ستكون لهم الدائرة على أهل الحق، فأدار الله عليهم ظنهم، وكانت دائرة السوء عليهم في الدنيا (وغضب الله عليهم) بما اقترفوه من المحادة لله ورسوله، (ولعنهم) أي: أبعدهم وأقصاهم عن رحمته (وأعدّلهم جهنم وساءت مصيرًا).

وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ

أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾[الفتح:١١-١٢].

فظنوا أن النبي ﷺ والمؤمنين لن يرجعوا إلى أهليهم أبدًا، بل سيُقتَلونَ ويُسْتَأْصلون، والله يقول في هذا الصنف وأمثاله الذين بغتاظون بنصرة دينه، ورسوله ﷺ والمؤمنين: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾[الحج:١٥].

قال ابن كثير رحمه الله: قال ابن عباس من كان يظن أن لن ينصر الله محمدًا ﷺ في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب، أي: بحبل (إلى السماء) أي: سماء بيته (ثم ليقطع) يقول: ثم ليختنق به وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء، وأبو الجوزاء وقتادة وغيرهم، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (فليمدد بسبب إلى السماء) أي: ليتوصل إلى بلوغ السماء فإن النصر إنما يأتي محمدًا من السماء (ثم ليقطع) ذلك عنه إن قدر على ذلك، وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى وأبلغ في التهكم، فإن المعنى من كان يظن أن الله ليس بناصرٍ محمدًا وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه، فإن الله ناصره لا محالة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[غافر:٥١].

ولهذا قال: ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾[الحج:١٥] قال السدي: يعني من شأن محمد ﷺ، وقال عطاء الخرساني: فلينظر هل يشفى ذلك ما يجد في صدره من الغيظ. اهـ

وقال تعالى عن طائفة من المنافقين: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾[آل عمران:١٥٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[الأحزاب:١٢].

وقال تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾[المائدة:٥٢].

وقال الإمام الفريابي رحمه الله في «صفة المنافقين» (٩٩): حدثنا عبد الأعلى بن حماد النرسي، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد وحبيب بن الشهيد: أن الحسن قال في هذه الآية: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾[الحاقة:١٩-٢٠] قال: (إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن المنافق أساء الظن بربه فأساء العمل).

الأثر صحيح.

حميد: هو الطويل وحبيب بن الشهيد هو البصري وهو ثقة ثبت.

يؤذون النبي ﷺ والمؤمنين بألوان من الأذى

من الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[التوبة:٦١].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: يقول الله تعالى: ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله ﷺ بالكلام فيه، ويقولون (هو أذن) أي: من قال له شيئًا صدقه فينا، ومن حدثه صدقه فإذا جئناه وحلفنا له صدقنا.

رُوِيَ معناه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، وقال الله تعالى: (قل أذن خير لكم) أي: هو أذن خير يعرف الصادق من الكاذب، (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) أي: ويصدق المؤمنين، (ورحمة للذين آمنوا منكم) أي: وهو حجة على الكافرين ولهذا قال: (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم). اهـ

وقال السعدي رحمه الله: أي ومن هؤلاء المنافقين (الذين يؤذون النبي) بالأقوال الردية، والعيب له ولدينه، (ويقولون هو أذن) أي: لا يبالون بما يقولون من الأذية للنبي ﷺ، ويقولون: إذا بلغه عنا بعض ذلك، جئنا نعتذر إليه، فيقبل منا؛ لأنهُ أُذُن، أي: يقبل كل ما يقال له، لا يميز بين صادق وكاذب، وقصدهم -قبحهم الله- فيما بينهم، أنهم غير مكترثين بذلك، ولا مهتمين به؛ لأنه إذا لم يبلغه، فهذا مطلوبهم، وإن بلغه اكتفوا بمجرد الاعتذار الباطل فأساءوا كل الإساءة من أوجه كثيرة أعظمها أذية نبيهم الذي جاء لهدايتهم، وإخراجهم من الشقاء والهلاك إلى الهدى والسعادة، ومنها: عدم إهتمامهم أيضًا بذلك، وهو قدر زائد على مجرد الأذية.

ومنها: قدحهم في عقل النبي ﷺ، وعدم إدراكه، وتفريقه بين الصادق والكاذب، وهو أكمل الخلق عقلًا، وأتمهم إدراكًا وأثقبهم رأيًا وبصيرة، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾، أي: يقبل من قال له خيرًا وصدقًا... اهـ

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾[الأحزاب:٤٨].

وقال الإمام أحمد رحمه الله (١/ ٢٦٧): حدثنا حسن بن موسى، حدثنا زهير، حدثنا سماك، حدثني سعيد بن جبير: أن ابن عباس حدَّثه قال: كان رسول الله ﷺ في ظل حجرةٍ من حُجره، وعنده نفرٌ من المسلمين، قد كاد يقلص عنهم الظل، قال: فقال: «**إِنَّهُ سَيَأْتِيكُمْ إِنْسَانٌ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ بِعَيْنَيْ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَتَاكُمْ، فَلَا تُكَلِّمُوهُ**» قال: فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فكلمه، قال: «**عَلَامَ تَشْتِمُنِي أَنْتَ، وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ؟**» نفر دعاهم بأسمائهم، قال: فذهب الرجل فدعاهم، فحلفوا بالله، واعتذروا إليه قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ الآية [المجادلة:١٨].

وقد جاء في «تفسير الطبري» على الصواب، عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليُخرِجنَّ الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي - أو لعمر - فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني هَمٌّ لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمر: ما أردت إلى أن أكذبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله تعالى: (إذا جاءك) فبعث إليَّ النبي ﷺ فقرأ فقال: «**إن الله قد صدقك يا زيد**» رواه البخاري (٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٧٢).

وعن ابن عمر قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ**».

قال: ونظر ابن عمر يومًا إلى البيت أو إلى الكعبة فقال: (ما أعظمكِ وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك). رواه الترمذي (٢٠٣٢)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٥٧٦٣).

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقدة، وروى إسحاق بن إبراهيم السّمرقندي عن حسين بن واقدٍ نحوه.

الحديث قد ذكره شيخنا في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

الحديث جاء عن أبي برزة وفي سنده سعيد بن عبد الله بن جريج، مولى أبي برزة، روى عنه جمع وذكره ابن حبان في الثقات، وقال فيه أبو حاتم: مجهول، **فالحديث حسن لغيره**، بحديث ابن عمر.

الحديث رواه أحمد (٤/ ٤٢١) وغيره من المواضع، وأبو داود (٤٨٨٠)، وأبو يعلى (٧٤٢٤)، وغيرهما.

قال ابن جرير رحمه الله في «تفسيره»: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: ثني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأُخبِرنَّ رسول الله ﷺ فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيتُه متعلقًا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[التوبة:٦٥-٦٦].

وأخرجه ابن أبي حاتم بهذا الإسناد، وهشام بن سعد ضعيف، ولكنه أثبت الناس في زيد بن أسلم، وبقية رجاله ثقات، ويونس: هو ابن عبد الأعلى، وللحديث شواهد.

حديث كعب بن مالك عند ابن أبي حاتم وسنده حسن قاله شيخنا في «أسباب النزول»، وأخرى مراسيل عند ابن جرير الطبري.

وعن أسامة بن زيد: أن النبي ﷺ ركب حمارًا عليه إكافٌ تحت قطيفة فدكية، وأردف وراءه أسامة بن زيد وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مرّ في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، وفيهم عبد الله بن أبي ابن سلول. وفي المجلس عبد الله بن رواحة.

فلما غشيت المجلس عَجَاجَةُ الدابة خمّر عبد الله بن أُبي أَنْفَهُ بردائه ثم قال: لا تُغَبِّروا علينا.

فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقًا، فلا تؤذِنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك فمن جاءك مِنا فاقصص عليه.

قال ابن رواحة: اغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال: «**أَيْ سَعْدُ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ**» - يريد عبدالله بن أُبي - «**قَالَ كَذَا وَكَذَا**» قال: اعف عنه يا رسول الله، واصفح، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البحرةِ على أن يتوجوه فيعصبونه

بالعصابة، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شَرِقَ بذلك، فذلك فعل به ما رأيت. فعفا عنه النبي ﷺ.

رواه البخاري (٦٢٥٤)، ومسلم (١٧٩٨)، وعند مسلم: (أهل هذه البحيرة) بالتصغير وأصلها القرية والمراد بها هنا المدينة.

قوله: (عليه إكاف) هو للحمار بمنزلة السرج للفرس.

قوله: (عَجَاجَة الدابة) هو ما ارتفع من غبار حوافرها.

قوله: (يعصبونه بالعصابة) أي: اتفقوا أن يعينوه ملكًا عليهم وكان من عادتهم إذا ملّكوا إنسانًا توجوه وعصبوه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أُبي؟ فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حمارًا، فانطلق المسلمون يمشون معه، وهي أرض سَبِخَة فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحًا منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه، فشتما فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها أُنزِلَت: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾[الحجرات:٩]. رواه البخاري (٢٦٩١)، ومسلم (١٧٩٩).

وعن عائشة رضي الله عنها في ذكر قصتها في حادثة الإفك، وفيه: فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذٍ من عبد الله ابن أُبي ابن سلول فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللهِ، مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي**» فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله، أنا

أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربتُ عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا، ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة: كذبت، لعمر الله لنقتلنَّه، فإنك منافق، تجادل عن المنافقين، فتساور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت. رواه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم.

وقد سحره بعضهم أَخزاهم الله

قال الإمام البخاري رحمه الله (٥٧٦٥): حدَّثني عبد الله بن محمد، قال: سمعت ابن عُيينة يقول: أَول من حدَّثنا به ابن جريج يقول: حدَّثني آل عروة عن عروة، فسألت هشامًا عنه، فحدَّثنا عن أَبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ سُحِرَ، حتَّى كان يرى أَنَّه يأَتي النِّساء ولا يأْتيهنَّ. قال سفيان: وهذا أشدُّ ما يكون من السحر إذا كان كذا. فقال: «**يَا عَائِشَةُ، أَعَلِمْتِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلْآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ** - رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودَ كَانَ مُنَافِقًا - **قَالَ: وَفِيمَ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ، قَالَ: وَأَيْنَ؟ قَالَ: فِي جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، تَحْتَ رَاعُوفَةٍ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ**» قالت: فأَتى النبيُّ ﷺ البِئرَ حتَّى استخرجه، فقال: «**هَذِهِ البِئْرُ الَّتِي أُرِيتُهَا، وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الحِنَّاءِ، وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**» قالت: فقلت: أَفلا - أَي تَنشرتَ؟ - فقال: «**أَمَّا اللهُ فَقَدْ شَفَانِي، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا**».

قال الحافظ بن حجر في «الفتح» عند شرح هذا الحديث من طريق عيسى بن يونس عن هشام برقم (٥٧٦٣): ووقع في رواية عبد الله بن نُمير عن هشام بن عروة عند مسلم: (سحر النبيَّ ﷺ يهوديٌّ من يهود بني زُريق). ووقع في رواية ابن عُيينة الآتية قريبًا: (رجل من بني زُريق حليف اليهود، وكان منافقًا). ويُجمع بينهما بِأَنَّ من أَطلقَ أَنَّه يهودي نظر إِلى ما في نفس الأَمر، ومن أَطلق عليه منافقًا نظر إِلى ظاهر أَمره. وقال ابن الجوزي: هذا يدلُّ على أَنَّهُ كان أَسلم نِفاقًا وهو واضح، وقد حكى عياض في «الشفاء» أَنَّهُ كان أسلم، ويُحتمل أَن يكون قيل له يهودي؛ لكونه كان من حلفائهم لا أَنَّه كان على دينهم. اهـ المراد. والاحتمال الثالث فيه نظر.

فائدة: في هذا الحديث أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَتى البئر واستخرج السِّحرَ، وفي حديث عيسى عن هشام: (أَنَّهُ لم يستخرجه)، قال ابن القيم في «بدائع الفوائد»: ولا تنافي بينهما فإِنَّهُ استخرجه من البئر حتَّى رآه وعَلِمهُ ثم دفنه بعد أن شُفيَ. وقول عائشة هلَّا استخرجته؟ أي هلَّا أخرجته للنَّاس حتَّى يروه ويُعاينوه، فأخبرها بالمانع له من ذلك، وهو أَنَّ المسلمين لم يكونوا ليسكتوا عن ذلك؛ فيقع الإنكار، ويغضب للساحر قومه فيحدث الشَّر، وقد حصل المقصود بالشفاء والمعافاة فأُمِرَ بها فدُفِنتْ، ولم يستخرجها للنَّاس، فالاستخراج الواقع غير الذي سألت عنه عائشة والذي يدل على أَنَّه ﷺ إِنَّما جاء إلى البئر ليستخرجها منه، ولم يجئ إِليه لينظر إِليها ثم ينصرف إِذ لا غرض له في ذلك والله أعلم. اهـ

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» بعد أن ذكر الروايات عن هشام: قال ابن بطَّال: ذكر المُهلَّب أَنَّ الرواة اختلفوا على هشام في إخراج السحر المذكور، فأثبته سفيان، وجعل سؤال عائشة عن النشرة، ونفاه عيسى بن يونس وجعل سؤالها عن

الاستخراج، ولم يذكر الجواب، وصرَّح به أَبو أُسامة قال: والنظر يقتضي ترجيح رواية سفيان لتقدمه في الضبط، ويؤيِّدُهُ أَنَّ النشرة لم تقع في رواية أَبي أُسامة، والزيادة من سفيان مقبولة؛ لأنه أثبتهم، ولا سيَّما أَنَّه كرر استخراج السِّحرَ في روايته مرتين، فيبعد من الوهم، وزاد ذكر النشرة وجعل جوابه ﷺ عنها: بـ(لا) بدلًا عن الاستخراج، قال: ويُحتملُ وجهًا آخر فذكر ما مُحصِّلُهُ: أَنَّ الاستخراج المنفي في رواية أَبي أُسامة غير الاستخراج المُثبت في رواية سُفيان، فالمُثبت هو استخراج الجُف، والمنفي استخراج ما حواه، قال: وكأَنَّ السِّرَّ في ذلك أن لا يراه النَّاس، فيتعلَّمهُ من أراد استعمال السِّحر. قلت: وقع في رواية عمرة: (فاستخرج جُف طلعةِ من تحت راعوفة) وفي حديث زيد بن أرقم: (فأخرجوه فرموا به)، وفي مرسل عمر ابن الحكم أَنَّ الذي استخرج السِّحرَ قيس بن محصن، وكل هذا لا يُخالف الحمل المذكور. اهـ

و(جُف الطلع): هو الغشاء الذي يكون على الطلع.

و(الراعوفة): حجر يوضع على رأس البئر لا يستطاع قلعه يقوم عليه المستقي، وقد يكون في أسفل البئر. قال أَبو عبيد: هي صخرة تنزل في أسفل البئر إذا حفرت يجلس عليها الذي ينظف البئر، وهو حجر يوجد صلبًا لا يُستطاع نزعه فيُترك.

بل أراد المنافقون هلاك رسول الله ﷺ

فحين رجع قافلًا من تبوك إلى المدينة سلك طريق العقبة، فأرادوا أن يسلكوها معه فينفروا دابته فيطرحوه من على دابته.

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/ ٤٥٣): حدثنا يزيد، أخبرنا الوليد - يعني ابن عبد الله بن جميع- عن أبي الطفيل قال: لمّا أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر

مناديًا فنادى إن رسول الله أخذ العقبة، فلا يأخذها أحدٌ، فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوق به عمارٌ إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل، غشوا عمارًا وهو يسوق برسول الله ﷺ، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة: «**قُدْ قُدْ**» حتى هبط رسول الله ﷺ، فلما هبط رسول الله ﷺ نزل ورجع عمار، فقال: «**يَا عَمَّارُ، هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ؟**» فقال: قد عرفت عامة الرواحل والقوم متلثمون قال: «**هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا؟**» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «**أَرَادُوا أَنْ يُنَفِّرُوا بِرَسُولِ اللهِ فَيَطْرَحُوهُ**» قال: فسأل عمار رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: نشدتك بالله، كم تعلم كان أصحاب العقبة؟ فقال: أربعة عشر، فقال: إن كُنْتَ فيهم فقد كانوا خمسة عشر، فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثة قالوا: والله ما سمعنا منادي رسول الله، وما علمنا ما أراد القوم، فقال عمار: أشهد أنَّ الأثنى عشر الباقين حربٌ لله ورسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

قال الوليد: وذكر أبو الطفيل في تلك الغزوة أن رسول الله ﷺ قال للناس، وذُكِرَ له أَنَّ في الماء قلة، فأمر رسول الله ﷺ مناديًا فنادى: أن لا يرد الماء أحد قبل رسول الله ﷺ، فورده رسول الله ﷺ فوجد رهطًا وردوه قبله، فلعنهم رسول الله ﷺ يؤمئذٍ. **سنده على شرط مسلم.**

ورواه مسلم تحت رقم (٢٧٧٩)، مختصرًا فقال رحمه الله: حدثنا زهير بن حرب، حدثنا أبو أحمد الكوفي، حدثنا الوليد بن جُميع، حدثنا أبو الطفيل قال: كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك بالله، كم كان أصحاب العقبة؟ قال: فقال له القوم أخبره إذ سألك، قال: كنا نخبر أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر، وأشهد بالله أن اثنى عشر

منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. وعذر ثلاثة قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ ولا علمنا بما أراد القوم. وقد كان في حَرَّةٍ فمشى فقال: «**إِنَّ المَاءَ قَلِيلٌ، فَلَا يَسْبِقْنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ**»، فوجد قومًا قد سبقوه، فلعنهم يومئذٍ.

وأخرجه أحمد (٥/ ٣٩٠-٣٩١)، فقال: حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير، وأبو نعيم قالا: حدثنا الوليد يعني ابن جُميع قال أبو نعيم: عن أبي الطفيل وقال محمد ابن عبد الله، حدثنا أبو الطفيل قال: كان بين حذيفة وبين رجل من أهل العقبة...

وقد جاء عن حذيفة رضي الله عنه.

رواه أحمد (٥/ ٤٠٠)، من طريق أبي نعيم، وأحمد أيضًا (٥/ ٤٠١)، من طريق وكيع، والبزار في «مسنده» (٢٨٠٣)، من طريق محمد بن فضيل كلهم عن الوليد بن جميع، حدثنا أبو الطفيل، عن حذيفة قال: خرج رسول الله ﷺ يوم غزوة تبوك قال فبلغه أن في الماء قِلّة -الذي يرده- فأمر مناديًا فنادى في الناس: «**أَنْ لَا يَسْبِقُنِي إِلَى المَاءِ أَحَدٌ**» فأتى الماء وقد سبقه قوم فلعنهم، وهذا لفظ أبي نعيم.

إسناده على شرط مسلم، ورجاله ثقات غير الوليد بن عبد الله بن جميع: صدوق.

الحديث رواه البزار في «مسنده» (٢٩٤٧).

قال رحمه الله: حدثنا إبراهيم بن زياد الصائغ قال: أخبرنا يحيى بن آدم قال: أخبرنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن عمرو بن مُرَّة، عن عبد الله بن سلمة، عن حذيفة رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وعمار يقوده وأنا أسوق به، فإذا رواحل قد عرضت تريد رسول الله، فضرب عمار رضي الله عنه وجوهها فإذا رجال متلثمون أثنا عشر رجلًا، فلما جاوزوا قال رسول الله ﷺ قال: «**مَا أَرَادَ القَوْمُ؟**» قُلتُ: أَن يُنَفِّروا برسول الله ﷺ، قال: «**هَلْ تَعْرِفُهُمْ؟**» قلت: نعم.

قال البزار: وهذا الكلام ونحوه قد روي عن حذيفة من غير هذا الوجه ولا نعلم روى عبد الله بن سلمة، عن حذيفة حديثًا مسندًا غير هذا الحديث. اهـ

وعبد الله بن سلمة: هو المرادي فيه ضعف.

ورواه البيهقي في «الدلائل» (٥/ ٢٦٠-٢٦١)، من طريق محمد بن إسحاق، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن حذيفة فذكره بنحوه وسياقه أطول، أبو البختري هو سعيد بن فيروز لم يسمع من حذيفة، ومحمد بن إسحاق: مدلس وقد عنعن وقد خالفه أبو بكر بن عياش وهو أقوى منه.

ورواه الطبراني (٣/ ١٦٤-١٦٥)، من طريق مجالد، عن عامر الشعبي، عن صلة، عن حذيفة، ومجالد: هو ابن سعيد، وهو ضعيف.

وبقية رجاله محتج بهم، فالحديث بمجموع هذه الطرق والشاهد صحيح. والعقبة المذكورة في هذين الحديثين: ليست العقبة المشهورة بمنى التي كانت بها بيعة الأنصار رضي الله عنهم، وإنما هذه عقبة على طريق تبوك اجتمع المنافقون فيها للغدر برسول الله ﷺ في غزوة تبوك فعصمه الله منهم. قاله النووي في شرحه على مسلم.

وأذاهم واستخفافُهم وطعونهم لم يسلم منه الصالحون الأموات فكيف بالأحياء

قال الإمام الترمذي رحمه الله (٣٨٤٩) حدثنا عبيد بن حميد، أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس: لَمَّا حُمِلَتْ جنازة سعد بن معاذ، قال المنافقون: ما أخف جنازته، وذلك لحكمه في بني قريظة، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «**إِنَّ المَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ**»، هذا حديث صحيح غريب.

قال شيخنا مقبل في «الصحيح المسند»: **هو على شرط مسلم.**

قال الإمام الفريابي في «صفة المنافق» (٦٣) حدثنا عبيدالله القواريري، حدثنا حماد بن زيد عن أيوب، قال: دخل عمر بن عبد العزيز على أبي قلابة يعوده، فقال له: (يا أبا قلابة، تشدد ولا تشمت بنا المنافقين).

وقال رحمه الله (٦٤) حدثنا محمد بن عبيد بن حساب، حدثنا حماد بن زيد عن أيوب قال: مرض أبو قلابة بالشام، فدخل عليه عمر بن عبد العزيز فقال: فذكره.

الأثر صحيح، محمد بن عبيد بن حِسَاب هو الغبري البصري.

في المطبوع (خَشَّاب) وهو تصحيف والصواب ما أثبتناه.

يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف

قال الله تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾[التوبة:٦٧].

قال السعدي رحمه الله في قوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾، هو الكفر والفسوق والعصيان، : ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهو الإيمان و الأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة والأداب الحسنة.

وقال الإمام الفريابي رحمه الله (٥٥): حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد أخبرني أبي حدثني أبو بشر الضحاك بن عبد الرحمن، قال: سمعت بلال بن سعد يقول: (المنافق يقول ما يعرف، ويعمل بما ينكر). **سنده حسن**.

وبلال بن سعد هو ابن تميم الأشعري الدمشقي ثقة عابد فاضل، والضحاك بن عبد الرحمن هو ابن أبي حوشب أبو زرعة، ويقال أبو بشر الدمشقي ثقة، والعباس بن الوليد بن مزيد صدوق عابد، وأبوه ثقة.

يقلبون الأمور والحقائق

قال الله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾[التوبة:٤٨]، ومن تقليب الحقائق عندهم زعمهم أنهم أهل إيمان وهدى وهم على خلاف ذلك، قال الله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة:٨]، وهم أهل فساد وشر ويزعمون أنهم أهل صلاح: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[البقرة: ١١-١٢]، ويزعمون أنهم أهل العزة وغيرهم من المؤمنين أهل الذلة، والصواب هو العكس قال الله: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[المنافقون:٨]، ويزعمون أنهم مجانبون الفتن ويخشون على أنفسهم منها وهم سوائمها.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[التوبة:٤٩].

يكرهون ويستاءون من ظهور الحق وأهله ووصول الخير والحسنة للنبي ﷺ والمؤمنين ويفرحون بالمصيبة تحل بالنبي ﷺ والمؤمنين

قال الله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[التوبة:٤٨].

وقال الله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾[التوبة:٥٠].

وقال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[آل عمران:١٢٠]، ومن شدة فرحهم بالمصائب تحل بالمؤمنين أنهم يتربصون وقوعها.

قال الله عن المنافقين حين ينادون المؤمنين: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[الحديد:١٤].

قال الشنقيطي رحمه الله في قوله: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ التربص الانتظار، والأظهر أن المراد به هنا تربص المنافقين بالمؤمنين الدوائر أي انتظارهم بهم نوائب الدهر أن تهلكهم كقوله تعالى في منافقي الأعراب المذكورين في قوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[التوبة:١٠١].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[التوبة:٩٨].

ولمَّا أُصِيبَ المُسلِمون بأعظم مصيبة وهي موت نبينا ﷺ فرح المنافقون فرحًا شديدًا وظنوا بموته ﷺ موت الدين، فقام عمر بن الخطاب فخوفهم وأرعبهم

روى البخاري (٣٦٦٧) عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنْح، قال إسماعيل: يعني بالعالية، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله،

فقال: بأبي أنت وأمي، طبت حيًّا وميِّتًا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدًا، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر.

فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[الزمر:٣٠]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٤]. قال: فنشج الناس يبكون.

وقال البخاري رحمه الله (٣٦٦٩): وقال عبد الله بن سالم عن الزبيدي قال عبدالرحمن بن القاسم، أخبرني القاسم أن عائشة رضي الله عنها قالت: شخص بصر النبي ﷺ ثم قال: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى» (ثلاثًا) وقص الحديث، قالت: فما كان من خطبتهما من خطبة إلا نفع بها، لقد خوف عمر الناس وإن فيهم لنفاقًا فردهم الله بذلك.

ثم لقد بَصَّرَ أبو بكر الناس الهدى، وعرَّفهم الحق الذي عليهم، وخرجوا به يتلون: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٤].

قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٣٣): هذه الطريق لم يوردها البخاري إلا معلَّقة ولم يسقها بتمامها، وقد وصلها الطبراني في مسند الشاميين، وقولها: وإن فيهم لنفاقًا أي أن في بعضهم منافقين، وهم الذين عرَّض بهم عمر في قوله المتقدم.

ومن صفاتهم الجبن والخور

قال الله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾[التوبة:٥٦-٥٧].

قال السعدي رحمه الله في قوله: ﴿قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾، أي يخافون الدوائر وليس في قلوبهم شجاعة تحملهم على أن يبينوا أحوالهم، فيخافون إن أظهروا حالهم منكمْ، ويخافون أن تتبرَّأوا منهم فيتخطفهم الناس من كل جانب، ثم ذكر شدة جبنهم، فقال: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾، يلجؤون إليه عندما تنزل بهم الشدائد ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ يدخلونها فيستقرون فيها ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ أي محلًا يدخلونه فيتحصنون فيه: ﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾، أي يسرعون ويهرعون، فليس لهم ملكة، يقتدون بها على الثبات. اهـ

وقال ابن كثير رحمه الله في قوله: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾، أي حصنًا يتحصنون به وحرزًا يتحرزون به ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ وهي التي في الجبال ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ وهو السرب في الأرض والنفق قال ذلك في الثلاثة ابن عباس ومجاهد وقتادة. اهـ

وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى

قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾[الحشر:١١-١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الأحزاب:١٣-١٦].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[التوبة:٨٦-٨٧].

لا يفقهون ولا يعلمون

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[المنافقون:٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[التوبة:٨٦-٨٧].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾[محمد:١٦].

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾[التوبة:١٢٧].

وقال تعالى واصفًا طائفة من الأعراب: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:٩٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[المنافقون:٨].

وقال الإمام البخاري رحمه الله (٦٠٦٧) حدثنا سعيد بن عفير، حدثنا الليث، عن عقيل عن ابن شهاب، عن عروة عن عائشة قالت: قال النبي ﷺ: «**مَا أَظُنُّ فُلَانًا وَفُلَانًا يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا**». قال الليث: كانا رجلين من المنافقين.

هم الأعداء حقًّا فالواجب الحذر منهم

قال الله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[المنافقون:٤].

قال الإمام الفريابي رحمه الله في صفة النفاق: لاعلى معنى أنه لا عدو لكم سواهم، بل على معنى أنهم أحق بأن يكونوا لكم عدوًا من الكفار المجاهرين.

ونظير ذلك قول النبي ﷺ: «**لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنِ المِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ**» رواه البخاري (١٤٧٩)، ومسلم (١٠٣٩).

فليس هذا أيضًا نفيًا لاسم المسكين عن الطواف، بل إخبار بأنه القانع الذي لا يسمونه مسكينًا أحق بهذا الاسم من الطواف الذي يسمونه مسكينًا.

ونظيره قوله ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ**

حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ». الحديث رواه مسلم (٢٥٨١).

ونظيره قوله ﷺ: «**مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟**» قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ، قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟**» قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، قَالَ: «**لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**». رواه مسلم (٢٦٠٨) عن ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -.

قلت: الحديث رواه أبو بكر بن أبي شيبة كما في «المطالب العالية» وأبو يعلى عن أبي هريرة وهو في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

والرقوب: الرجل والمرأة إذا لم يعش لهما ولد، لأنه يرقب موته ويرصده خوفًا عليه. اهـ «النهاية» قاله المحقق.

قال الفريابي: ومنه عندي قوله ﷺ: «**الرِّبَا فِي النَّسِيئَةِ**». وفي لفظ: «**إِنَّمَا الرِّبَا فِي النَّسِيئَةِ**» رواه البخاري (٢١٧٩).

هو إثبات؛ لأن هذا النوع هو أحق باسم الربا من ربا الفضل، وليس فيه اسم الربا عن ربا الفضل. فتأمله. اهـ

أصحاب دنيا إن أُعطوا رضوا وإن لم يعطوا سَخِطوا

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾[التوبة:٥٨-٥٩].

وقال الإمام الفريابي في «صفة النفاق» (١١٤): حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود أنه قال: (إن الرجل منكم ليخرج من بيته فيلقى الرجل له إليه حاجة فيقول: ذيت ذيت، فيمدحه فعسى أن لا يحلأ من حاجته بشيء، أو يرجع وقد أسخط الله عزوجل عليه ما معه من دينه شيء). **سنده صحيح** وقيس بن مسلم هو الجولي.

بخـــلاء

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾[التوبة:٦٧]، يقبضون أيديهم عن النفقة في سبيل الله، وعن الصدقة الواجبة والمستحبة.

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[التوبة:٧٥-٧٧].

وقال الله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[الأحزاب:١٩].

وقال الله تبارك تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[التوبة:٥٤].

وقال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾[المنافقون:٧].

يلمزون ويعيبون النبي ﷺ والمؤمنين

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾[التوبة:٥٨-٥٩].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[التوبة:٧٩].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره»: وهذا أيضًا من صفات المنافقين لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال حتَّى ولا المتصدقون يسلمون منهم، إن جاء أحد منهم بمال جزيل، قالوا هذا مراءٍ، وإن جاء بشيء يسير قالوا إن الله لغني عن صدقة هذا كما روى البخاري وساق ابن كثير رحمه الله بسنده إلى أبي مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا مراءٍ، وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، فنزلت: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ ﴾ الآية، وقد رواه مسلم في صحيحه. اهـ

ومن صفاتهم في الآية السابقة أنهم يسخرون بالمؤمنين فيسخر الله منهم.

همهم إرضاء الناس لا ارضاء الله ورسوله ﷺ

قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[التوبة:٦٢-٦٣].

وقال الإمام أحمد رحمه الله في «الزهد» (١٦٤): حدثنا أبو داود، حدثنا شعبة عن واقد بن محمد بن زيد عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة رحمها الله قالت:

(من أَسخط الناس برضا الله كفاه النَّاس، ومن أرضى النَّاس بسخط الله وكله الله إِلى النَّاس). **سنده صحيح**.

القاسم هو ابن محمد، وابن أبي مليكة هو عبد الله بن عبيد الله، وأبو داود هو الطيالسي.

قال البيهقي في «الزهد» (تحت رقم ٨٩١): ورواه عمر بن مرزوق وغيره عن شعبة موقوفًا.

وأخرجه البيهقي في «الزهد» (٨٩١)، و«الأسماء والصفات» (١٠٥٩) من طريق محمد بن إسحاق أَنا عثمان بن عمر أَنا شعبة به. ورواه عبدُ بن حميد في «المنتخب» (١٥٢٤)، وابن حِبَّان كما في «الإحسان» (٢٧٧) من طريق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، والبيهقي في «الزهد» (٨٩٠)، و«الأسماء والصفات» (١٠٦٠) من طريق الحسن بن مكرم كلهم عن عثمان بن عمر قال حدثنا شعبة عن واقد بن محمد عن القاسم عن عائشة مرفوعًا.

قال البيهقي في «الزهد» عقب الحديث: قال أبو علي ـ وهي كُنية الحسن بن مكرم ـ: ربما رفعه عثمان وربما لم يرفعه. وقال في «الأسماء والصفات» : قال الحسن بن مكرم: في كتابي هذا موضعين موضع موقوف، وموضع مرفوع أنَّ النبيَّ ﷺ قال. اهـ

فظهر أنَّ عثمان بن واقد وهو العمري اضطرب في هذا الحديث، والصحيح من روايته ما وافق رواية الجماعة عن شعبة موقوفًا.

ورواه ابن حِبَّان كما في «الإحسان» (٢٧٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٩٩)، (٥٠٠) من طريق عبد الرحمن المحاربي عن عثمان بن واقد العمريِّ عن أبيه عن محمد بن المنكدر عن عروة عن عائشة مرفوعًا.

وقد سُئل أبو حاتم وأبو زرعة عن هذا الحديث كما في «العلل» لابن أبي حاتم (٢/ ١٠٣) فقالا: هذا خطأ، رواه شعبة عن واقد بن محمد عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة موقوف وهو الصحيح. قلت لأَبي: الخطأ ممن هو؟ قال: إِمَّا من المحاربي وإمَّا من عثمان. اهـ

وأخرجه الترمذي في «العلل الكبير» (٢/ ٨٣٧) من طريق النضر بن شميل أَخبرنا شعبة نا محمد بن عبيد الله بن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة فذكره موقوفًا، ثم قال: سألت محمدًا عن هذا الحديث، فقال: أَخطأ النضر. إنما روى هذا شعبة عن واقد بن محمد عن رجل عن ابن أبي مليكة. وروى عثمان بن واقد عن أَبيه عن ابن المنكدر عن عروة عن عائشة. وهذا أصح.

وروى سفيان الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أَنَّها كتبت إِلى معاوية بهذا الحديث. اهـ

وقد سبق أَنَّ أبا حاتم وأبا زرعة حكما على حديث عثمان بن واقد هذا بالخطأ.

وقد ذكر الإمام الدار قطني في «العلل» أَوجه الاختلاف في هذا الحديث وقال في آخر البحث: ورفعه لا يثبت. نقله محقق «العلل الكبير».

وحديث سفيان الثوري عن هشام رواه ابن أَبي شيبة في «المصنَّف» (١٤/ ٦١) فقال رحمه الله: حدثنا محمد بن عبد الله الأَسدي عن سفيان عن هشام عن أَبيه عن عائشة أَنها كتبت إِلى معاوية: أَوصيك بتقوى الله، فإِنَّك إِن اتقيت الله؛ كفاك النَّاس، فإِن اتقيت النَّاس لم يُغنوا عنك من الله شيئًا، فعليك بتقوى الله أَمَّا بعد.

ورواه الترمذي تحت رقم (٢٤١٤) والبيهقي في «الزهد» (٨٨٥) من طريق محمد بن يوسف عن سفيان الثوري به وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٩١)

تحقيق الأعظمي فقال رحمه الله: أَخبرنا هشام بن عروة عن رجل عن عروة قال: كتبت عائشة إِلى معاوية...

ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٨٨) من طريق سهل بن عبد ربه ثنا ابن المبارك عن هشام بن عروة عن أَبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِرِضَاءِ اللهِ كَفَاهُ اللهُ**».

قال عَقِبَه: غريب من حديث هشام بهذا اللفظ، وأخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٤/ ٢١٨)، والبيهقي في «الزهد» رقم (٨٨٧)، (٨٨٨)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٤٣)، وغيرهم من طريق قطبة بن العلاء بن المنهال ثنا أَبي عن هشام بن عروة عن أَبيه عن عائشة مرفوعًا: «**مَنْ طَلَبَ مَحَامِدَ النَّاسِ بِمَعَاصِي اللهِ، عَادَ حَامِدُهُ لَهُ ذَامًّا**». وعند البيهقي: «**مَنْ أَرَادَ سَخَطَ اللهِ وَرِضَا النَّاسِ عَادَ...**».

وقطبة وأَبوه ضعيفان، وقال العقيلي: العلاء بن منهال لا يُتابع عليه، ولا يُعرف إلا به، وذكر له هذا الحديث ثم قال: ولا يصحُّ في الباب مسندًا وهو موقوف من قول عائشة.

وقال البزار عقب الحديث: لا نعلم أَحدًا أسنده إلا قطبة عن أَبيه ورواه هشام عن أَبيه موقوفًا. اهـ

وقال ابن أَبي حاتم في «العلل» (٢/ ١١١): ذكرت لأَبي حديث قُطبة بن العلاء عن أَبيه عن هشام عن أبيه عن عائشة عن النَّبيِّ ﷺ: «**مَنِ التَمَسَ رِضَا المَخْلُوقِ...**». فقال أَبي: روى هذا الحديث ابن المبارك عن هشام بن عروة عن رجل عن عائشة قولها: أنها كتبت إِلى معاوية: (من التمس رضا المخلوق...) وهذا الصحيح. اهـ

وأَخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٩٩) تحقيق الأعظمي عن عائشة مرفوعًا وفي سنده مبهم.

وأخرجه الحُميدي في «مسنده» (١/ ١٢٩) عن سفيان بن عيينة عن زكريا بن أَبي زائدة عن عباس بن ذريح عن الشعبي قال: كتب معاوية إِلى عائشة: أنِ اكتبي إِليَّ بشيء سمعتيه من رسول الله ﷺ، قال: فكتبت إِليه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّه مَنْ يَعْمَلْ بِغَيْرِ طَاعَةِ الله، يَعُودُ حَامِدُهُ مِنَ النَّاسِ ذَامًّا**».

رواية الشعبي عن عائشة مرسلة، أي: منقطعة. قاله أبوحاتم وابن معين، ولكن قد أثبت سماعه منها أبوداود كما في «سؤالات الآجري» (٢١٩).

ورواه وكيع في «الزهد» (٥٢٣) حدثنا زكريا بن أَبي زائدة عن عامر قال: كتبت عائشة إِلى معاوية...

فخلاصة القول في هذا الحديث: أنَّ الراجح فيه الوقف من قول عائشة رضي الله عنها، وهذا ترجيح أَبي حاتم، وأَبي زرعة والدارقطني والعقيلي، وقد جاء عن ابن عباس مرفوعًا: «**مَنْ أَسْخَطَ اللهَ فِي رِضَا النَّاسِ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ، وأَسْخَطَ عَلَيْهِ مَنْ أرضاهُ فِي سَخَطِهِ، وَمَنْ أَرْضَى اللهَ فِي سَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ مَنْ أَسْخَطَهُ فِي رِضَاهُ حَتَّى يُزَيِّنَهُ وَيُزَيِّنَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ فِي عَيْنِهِ**» رواه الطبراني في «الكبير» (١١رقم ١١٦٩٦).

قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٢٤-٢٢٥): رجاله رجال الصحيح غير يحيى ابن سليمان الحفري وقد وثقه الذهبي في آخر ترجمة يحيى بن سليمان الجُعفي. اهـ

ترجمة السمعاني في «الأنساب»، مادة الجُفْري بضم الجيم وسكون الفاء وفي آخرها الراء، والجُفْرة الوهدة من الأرض وجمعها جفار وهي ناحية البصرة تسمى

جُفرة خالد. وذكر جماعة منها منهم أبو زكريا يحيى بن سليمان الإفريقي المعروف بالجفري نسبته في قريش، فظنِّي أَنه موضع بأفريقيَّة والله أعلم، حدَّثَ آخر من حدَّث عنه جبرون بن عيسى بن يزيد توفي سنة ٢٣٧هـ وقال الذهبي في «المشتبه والميزان»: ما علمت به بأسًا.

قال الشيخ الألباني رحمه الله في «الضعيفه» (١٢٦٣): فالرجل عندي مستور، وإن قال فيه الذهبي: ما علمت به بأسًا. اهـ المراد.

وتلميذ يحيى بن سليمان الجُفْري في هذا الحديث جبرون بن عيسى، قال ابن ماكولا في «الإكمال» (٣/ ٢٠٨): إِفريقيّ حدَّث عن يحيى بن سليمان الجُفْري وسحنون وغيرهما توفيَّ في (٢٩٤هـ) وترجمه الذهبي في «تاريخ الإسلام» وفيَّات (٢٩١-٣٠٠) ص١١٤، وقال البغوي المصري عن يحيى بن سليمان الجُفْري وسحنون بن سعيد الفقيه: أَخذ عنه بالمغرب وعنه الطبراني والمصريون، وقال الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٢/ ٨٤٩): كان يحدث بمصر عن يَحْيى بن سُلَيْمان الجُفْري بنسخةٍ عن أبي معمر عباد بن عبدالصَّمَد، عن أَنَس بن مَالِك، حَدَّثَنا بها أبوالحسن البَصْريّ عنه. اهـ

وقال الحافظ في «الإصابة» ترجمة أبي الدَّحداح الأَنصاري: وجبرون واهي الحديث.

ومات جبرون بن عيسى سنة (٢٩٤)، ومات الحافظ ابن حجر سنة (٨٥٢)، ومع تأخره لم يذكر دليلًا على وهاءِ حديث جبرون، وكلام غيره يدل على أنه مجهول الحال.

ويشهد لهذا الحديث ويُرقِّيه إلى درجة الحسن لغيره - إن شاء الله - أثر عائشة السابق.

ومن شواهد معناه: ما رواه الإمام وكيع بن الجراح في «الزهد» رقم (٥٢٤) فقال رحمه الله: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: كَتَبَ أَبُوالدَّرْدَاءِ إِلَى مَسْلَمَةَ بْنِ مُخَلَّدٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ بِطَاعَةِ الله أَحَبَّهُ الله، فَإِذَا أَحَبَّهُ الله حَبَّبَهُ إِلَى خَلْقِهِ. وَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ بِمَعْصِيَةِ الله أَبْغَضَهُ الله، فَإِذَا أَبْغَضَهُ الله بَغَّضَهُ إِلَى خَلْقِهِ.

سنده صحيح، وعبدالرحمن بن أبي ليلى قد أثبت سماعه من أبي الدرداء البخاري في «التأريخ الكبير»، ومسلمة بن مُخَلَّد - بتشديد اللام - الأنصاري صحابي صغير سكن مصر ووليها مَرَّةً.

الأثر أخرجه أحمد في «الزهد» (١٣٥)، وابن عساكر في «تأريخ دمشق» من طريق شعبة به.

وأخرجه عبدالرزاق (١٠/ ٤٥١) عن معمر عن الأعمش عن عمرو بن مُرَّة به.

وأخرجه ابن عساكر بسند آخر عن الأعمش به مختصرًا.

وأخرجه ابن عديٍّ في «الكامل» (٥/ ١٨٩٨) ترجمة عيسى بن سليمان القرشي العسقلاني بإسناد آخر ولفظه: «**مَنِ التَمَسَ مَحَامِدَ النَّاسِ بِمَعَاصِي الله عَزَّ وَجَلَّ؛ عَادَ حَامِدُهُ لَهُ ذَامًّا**». وقال: منكر بهذا الإسناد.

ومع شرهم وفسقهم يحلفون للمؤمنين أن يرضوا عنهم، قال تعالى: ﴿ **يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ** ﴾[التوبة: ٩٦].

يكرهون أن يجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم لعدم إيمانهم بالله واليوم الآخر وللشك في قلوبهم فيقعدون ويتسترون بالأعذار الكاذبة والواهية

قال الله تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾[التوبة:٨١].

وقال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[التوبة:٩٠].

قال السعدي رحمه الله: أي: وجاء الذين تهاونوا، وقصروا منهم في الخروج لأجل أن يؤذن لهم في ترك الجهاد، غير مبالين في الاعتذار لجفائهم، وعدم حيائهم، وإتيانهم بسبب ما معهم من الإيمان الضعيف، وأما الذين كذبوا الله ورسوله منهم فقعدوا وتركوا الاعتذار بالكلية، ويحتمل أن معنى قوله: ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ أي الذين لهم عذر، أتوا الرسول ﷺ ليعذرهم، ومن عادته أن يعذر من له عذر: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ﴾ في دعواهم الإيمان، المقتضي للخروج، وعدم عملهم بذلك، ثم توعدهم بقوله: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا والآخرة. اهـ

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[التوبة:٩٣-٩٤].

قوله: ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾، أي من الغزو، قوله: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾، أي لا نصدقكم في اعتذاركم الكاذب.

وقال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾[التوبة:٤٢-٤٦].

قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى موبخًا للذين تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك، وقعدوا بعدما استأذنوه في ذلك مظهرين أنهم ذووا أعذار، ولم يكونوا كذلك، فقال: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾، قال ابن عباس غنيمة قريبة: ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾، أي قريبًا أيضًا، ﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾ أي لكانوا جاءوا معك لذلك، ﴿وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ﴾، أي المسافة إلى الشام.

قوله: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ أي أبغض أن يخرجوا معك قدرًا، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ أي أخرهم، ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾، أي قدرًا. اهـ

وقال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[الفتح:١١].

قال السعدي رحمه الله: يذم تعالى المتخلفين عن رسول الله في الجهاد في سبيله من الأعراب الذين ضعف إيمانهم، وكان في قلوبهم مرض، وسوء ظن بالله تعالى، وأنهم سيعتذرون بأن أموالهم وأهليهم شغلتهم عن الخروج في سبيله. اهـ

قال الإمام البخاري (٨/ ٢٣٣): حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رجالًا من المنافقين على عهد رسول ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، وإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿ **لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟** ﴾[آل عمران:١٨٨]، وأخرجه مسلم (٢٧٧٧).

وروى البخاري ومسلم من حديث كعب بن مالك في قصة تخلفه وأخويه هلال ابن أمية، ومرارة بن الربيع، قال كعب - وهو يصف حاله بعد خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك -: فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني أني لا أرى إلا رجلًا مغموصًا عليه في النفاق، أو رجلًا ممن عذر الله.

وذكر في الحديث أن النبي ﷺ حين قدم من سفره إلى المدينة بدأ بالمسجد فصلى ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعًا وثمانين رجلًا فيقبل منهم رسول الله علانيتهم ويستغفر لهم، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى.

وقال الإمام مسلم رحمه الله (١٩١٠): حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن سهم الأنطاكي أخبرنا عبدالله بن المبارك عن وهيب المكي عن عمر بن محمد بن المنكدر عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ**

وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»، قال ابن سهم قال عبدالله بن المبارك: فَنُرى أن ذلك كان على عهد رسول الله ﷺ.

قال النووي: وهذا الذي قاله ابن المبارك محتمل، وقد قال غيره أنه عام، والمراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف، فإنَّ تَرْكَ الجِهَادِ أَحَدُ شُعَبِ النِّفَاقِ.

حياتهم هزل ولعب وضحك وآخرتهم بكاء وندم

قال الله تبارك تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[التوبة:٨٢].

قال جماعة: (الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاءوا، فإذا انقطعت الدنيا وصاروا إلى الله عزوجل استأنفوا بكاءً لا ينقطع أبدًا). اهـ من «تفسير ابن كثير».

يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا كما حصل منهم في حادثة الإفك

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النور:١٩].

قال الإمام البخاري رحمه الله (٤٧٤٩): حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾، قالت: عبدُالله بنُ أُبي ابنُ سلول.

نسوا الله فنسيهم وسخط عليهم

قال الله تبارك تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[التوبة:٦٧].

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾، أي: نسوا ذكر الله، ﴿فَنَسِيَهُمْۚ﴾ أي: عاملهم معاملة من نسيهم كقوله: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾[الجاثية:٣٤]. ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طريق الحق، الداخلون في طريق الضلالة. اهـ

وقال السعدي رحمه الله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ فلا يذكرونه إلا قليلًا، ﴿فَنَسِيَهُمْۚ﴾ من رحمته، فلا يوفقهم لخير، ولا يدخلهم الجنة، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار خالدين فيها مخلدين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ حصر الفسق فيهم، لأن فسقهم أعظم من فسق غيرهم، بدليل أن عذابهم أشد من عذاب غيرهم، وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم، إذ كانوا بين أظهرهم، والاحتراز منهم شديد. اهـ

وقال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٦٨): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟**» قَالُوا: لَا، قَالَ: «**فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟**» قَالُوا: لَا، قَالَ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: فَيَلْقَى العَبْدَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ**

يَلْقَى الثَّانِيَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ، فَيَقُولُ: بَلَى أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَا هُنَا إِذًا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ، وَلَحْمِهِ، وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ، وَلَحْمُهُ، وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ؛ وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ المُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ».

قوله: (أي فل) معناه يا فلان، وهو ترخيم على خلاف القياس، وقيل: هي لغة بمعنى فلان، حكاها القاضي.

وقوله (أسودك): أي أجعلك سيدًا على غيرك.

وقوله: (ترأس): أي تكون رئيسًا القوم وكبيرهم.

وقوله: (تربع) أي تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تَأْخُذه من الغنيمة، وهو ربعها، يقال: ربعتهم، أي أخذت ربع أموالهم، ومعناه ألم أجعلك رئيسًا مطاعًا.

قال القاضي: بعد حكايته نحو ما ذكرته: عندي أن معناه تركتك مستريحًا لا تحتاج إلى مشقة وتعب، من قولهم: أربع على نفسك، أي أرفق بها.

قوله: (ها هنا إذن) معناه قف ههنا حتى يشهد عليك جوارحك، إذ قد صرت منكرًا.

قوله: (ليعذر) من الإعذار، والمعنى ليزيل الله عذره من قبل نفسه بكثرة ذنوبه وشَهادةِ أَعضائِهِ عليه، بحيث لم يبق له عذر يتمسك به. اهـ من «شرح النووي».

﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: أي كلما وقع أمر، أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم، كما قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾[الأحزاب:١٩]، فهم جهامات وصور بلا معاني.

من علاماتهم بغض الأنصار وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم

عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ الْمُؤْمِنِ حُبُّ الأَنْصَارِ**» رواه مسلم (٧٤).

وعن البراء بن عازب عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار: «**لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ**» رواه مسلم (٧٥).

وروى مسلم (٧٨) من طريق عدي بن ثابت عن زر قال: قال علي: والذي فلق الحبةَ وبرأ النسمةَ إنه لَعهدُ النبيِّ الأُميّ ﷺ إِلَيَّ: «**أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُنِي إِلَّا مُنَافِقٌ**».

معنى قوله: (فلق الحبةَ وبرأ النسمةَ) فلق الحبَّة أي شقها بالنبات، وبرأ النسمة أي خلق الإنسان، وقيل النفس.

قال الإمام النووي رحمه الله: ومعنى هذه الأحاديث أن من عرف مرتبة الأنصار، وما كان منهم في نصرة دين الإسلام والسعي في إظهاره وإيواء المسلمين

وقيامهم في مهمات دين الإسلام حق القيام، وحبهم النبي ﷺ، وحبه إياهم، وبذلهم أموالهم وأنفسهم بين يديه، وقتالهم ومعاداتهم سائر الناس إيثارًا للإسلام.

وعرف من علي بن أبي طالب رضي الله عنه قربه من رسول الله ﷺ وحب النبي ﷺ له، وما كان منه في نصرة الإسلام وسوابقه فيه، ثم أحب الإنصار وعليًّا لهذا، كان ذلك من دلائل صحة إيمانه وصدقه في إسلامه لسروره بظهور الإسلام، والقيام بما يرضي الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ، ومن أبغضهم كان بضد ذلك؛ واستدل به على نفاقه وفساد سريرته. اهـ

ينهون عن صرف النفقات إلى المؤمنين حتى يتفرقوا وينفضوا، هكذا زعموا

قال الله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾[المنافقون:٧]، وهذا يدل على شدَّة عداوتهم للمؤمنين، وعظم غيظهم في اجتماعهم وقوتهم، ويدل أيضًا على سوء ظنهم بربهم أنه سيترك أولياءه ويكلهم إلى غيره.

فرد الله عليهم زعمهم الباطل بقوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

والله يقول: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[هود:٦].

ويقول: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[العنكبوت:٦٠].

وفي حديث ابن مسعود في «الصحيحين»: «فَيُرْسَلُ إِلَيْهِ المَلَكُ، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ».

فكل إنسان أجله مضروب، ورزقه مكتوب، ويتبعه رزقه كما يتبعه أجله.

فكيف إذا كان هذا الإنسان من المؤمنين أولياء الله.

قال الله تبارك تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾[محمد:١١].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة:٢٥٧].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ وَلِۦِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأعراف:١٩٦].

فالله هو الذي يتولى المؤمنين الصالحين، فييسر أرزاقهم والرزق هو العطاء، فيعطيهم ما تقوم به أبدانهم وأديانهم.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق:٢].

وقال النبي ﷺ في حديث عمر: «**لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**». حديث ثابت رواه الترمذي، وابن ماجه وأحمد وهو في «الصحيح المسند» لشيخنا مقبل - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -.

والله هو الذي يدفع عنهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ﴾[الحج:٣٨].

والنبي ﷺ يقول فيما يرويه عن ربه: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**» رواه البخاري عن أبي هريرة.

والله هو الذي ينصرهم، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم:٤٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[غافر:٥١].

وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:٤٠].

وهو الذي ينجيهم من مكاره الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس:١٠٣].

نسأل الله أن يجعلنا من المؤمنين الصادقين.

يُخَذِّلُونَ ويُثَبِّطُونَ المؤمنين عن الخير، ومن ذلك الجهاد

قال الله تبارك تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾[التوبة:٨١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[الأحزاب:١٣].

قوله: ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾، أي في موضعكم الذي خرجتم إليه خارج المدينة، وكانوا عسكروا دون الخندق، وخارج المدينة، ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى المدينة، فهذه الطائفة تُخِذِّل عن الجهاد وتبين أن لا قوة لهم بقتال عدوهم، ويأمرونهم بترك القتال، فهذه الطائفة شر الطوائف وأضرها، اهـ من «تفسير السعدي» رحمه الله.

وقال الله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الأحزاب:١٨].

قال السعدي رحمه الله: ثم توعد تعالى المخذلين المعوقين وتهددهم، فقال: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾، عن الخروج لمن لم يخرجوا: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾، الذين خرجوا: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ أي: ارجعو، كما تقدم من قولهم: ﴿يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾، وهم مع تعويقهم وتخذيلهم: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾، أي: القتال والجهاد بأنفسهم: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ فهم أشد الناس حرصًا على التخلف، لعدم الداعي لذلك من الإيمان والصبر، ولوجود المقتضي للجبن، من النفاق، وعدم الإيمان. اهـ

وقال الله تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾[الأحزاب:٦٠-٦١].

المرجفون: أي المخبرون بالأخبار التي يريدون من ورائها تخويف المسلمين كأَنْ يخبروا بقدوم الأعداء وبكثرة عدتهم وعتادهم، ويخبرون بقلة المسلمين وضعفهم كما حصل ذلك منهم بعد غزوة أحد، فبعد أن رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، وندب الصحابة، وقد أثخنتهم الجراح، أن يخرجوا بعد أعدائهم، فأمتثلوا حتى وصلوا إلى حمراء الأسد، فجاءهم المرجفون فأخبروا بتلك الأخبار التي ذكرها الله بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[آل عمران:١٧٣].

فما بالى الصَّحابةُ بهذا، بل ازدادوا إيمانًا ووثوقًا بالله، واعتمادًا عليه وانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء.

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره»: ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يعني الذين يقولون جاء الأعداء وجاءت الحروب، وهو كذب وافتراء، لئن لم ينتهوا عن

ذلك ويرجعوا إلى الحق ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أي: لنسلِطنَّك عليهم. وقال قتادة: لَنُحرِّشنَّك بهم. وقال السدَّي: لنعلمنك بهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾ أي: في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ﴾ حال منهم في مدة إقامتهم في المدينة مدة قريبة مطردين مبعدين ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ أي: وجدوا ﴿أُخِذُواْ﴾ أي: لذلتهم وقلتهم: ﴿وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾. ثم قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾[الأحزاب:٣٨] أي: هذه سنته في المنافقين إذا تمردوا على نفاقهم وكفرهم، ولم يرجعوا عما هم فيه، أن أهل الإيمان يسلطون عليهم ويقهرونهم ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ أي: وسنة الله في ذلك لا تبدل ولا تغير.

ومن تخذيلهم وتثبيطهم رجوع عبدالله بن أُبي وأصحابه يوم أحد من أثناء الطريق.

كما في «صحيح البخاري» (١٨٨٤) عن زيد بن ثابت قال: لما خرج النبي ﷺ إلى أحد رجع ناس من أصحابه، فقالت فرقة: نقلتهم، وقالت فرقة: لا نقتلهم، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾[النساء:٨٨].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّهَا تَنْفِي الرِّجَالَ كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الحَدِيدِ**».

قال الحافظ في «الفتح»: قوله (رجع ناس من أصحابه) هم عبدالله بن أُبي ومن تبعه. اهـ

فلما عزموا على الرجوع، قال لهم بعض المؤمنين: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا عن محارمكم وبلدكم إن لم تكن لكم نية صالحة: ﴿قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره»: فإنهم يتحققون أن جندًا من المشركين قد جاءوا من بلاد بعيدة يتحرقون على المسلمين بسبب ما أصيب من أشرافهم يوم بدر، وهم أضعاف المسلمين أنه كائن قتال بينهم لا محالة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾.

يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا

قال الإمام البخاري (٨/ ٢٣٣): حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثني زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رجالًا من المنافقين على عهد رسول ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، وإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾[آل عمران:١٨٨]، وأخرجه مسلم (٢٧٧٧).

وللآية سبب آخر:

روى البخاري (٩/ ٣٠١) من طريق ابن أبي مليكة: أن علقمة بن وقاص أخبره أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فقل له: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي، وأحب أن يُحمد بما لم يفعل، معذبًا، لَنُعذبنَّ أجمعون، فقال ابن عباس: مالكم، ولهذه الآية، إنما دعا النبي ﷺ يهودًا، وسألهم عن شيء، فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم، ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾[آل عمران:١٨٧-١٨٨]. وأخرجه مسلم (٢٧٧٨).

قال شيخنا في «الصحيح المسند من أسباب النزول»: هذا ويمكن الجمع بين الحديثين بأن تكون الآية نزلت في الفريقين معًا، قاله الحافظ في «الفتح» (٩/ ٣١).

أقول: ولو رجح حديث أبي سعيد لكان أولى؛ لأن حديث ابن عباس مما انتقد على الشيخين كما في مقدمة «الفتح» (٢/ ١٣٢)، وكما في «الفتح» (٩/ ٣٠٢)، ولا معنى لقصرها على أهل الكتاب، قال الحافظ في «الفتح»: وعمومها يشمل كل من أتى بحسنة ففرح بها فرح إعجاب، وأحب أن يحمده الناس، ويثنوا عليه بما ليس فيه. اهـ

فالمنافقون يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فكيف لو فعلوا، فهم يحبون أن يُمدحوا على كل حال، ويكرهون أن يذموا وهم حقيقون بالذم.

قال الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - في «الزهد» (٢٢٢٧): حدثنا أبوالنضر، حدثنا شعبة، عن عوف الأعرابي قال: من أخلاق المنافق أن يحب الحمد ويكره الذم.

سنده صحيح.

وقال - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - في «الزهد» (٢٢٢٨): حدثنا أبوداود، حدثنا شعبة، عن عوف الأعرابي قال: قال وهب بن منبه: آية المنافق أنه يكره الذم ويحب الحمد.

سنده صحيح.

وأخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٤٩٥) من طريق شعبة به.

المنافقون والقرآن، وصفة المنافق الذي يقرأ القرآن والذي لا يقرؤه

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/ ١٧٥): ثنا زيد بن الحباب من كتابه، ثنا عبد الرحمن بن شريح، سمعت شرحبيل بن يزيد المعافري: أنه سمع محمد بن هدية

الصدفي قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَكْثَرَ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا**».

رجاله ثقات عدا شرحبيل بن يزيد المعافري، فهو مجهول الحال، هكذا وقع في بعض المصادر، وفي كتب الرجال: (شراحيل) بدون باء، وهو الصحيح.

الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٢٢٨)، فقال: حدثنا زيد بن الحباب به، وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٣٦٣) من طريق عبد الرحمن بن شريح به.

وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٢٦)، فقال رحمه الله:

حدثنا عبد الرحمن بن شريح المعافري، قال: حدثني شرحبيل بن يزيد عن رجل عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا، فذكره، وقد عرفت مما تقدم أن المبهم هو محمد ابن هديَّة الصدفي، وهو ثقة، فقد وثقه يعقوب بن سفيان، والعجلي، وذكره ابن حبان في «الثقات» كما في التحرير. وقد أخرجه من طريق ابن المبارك الإمام أحمد (١/ ١٧٥)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» ص (٢١٦) ضمن عقائد السلف، والفرياني في «صفة المنافق» رقم (٣٦)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٣٦٣)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٧٥)، وعند هؤلاء التصريح باسم المبهم، وأنه محمد بن هدية الصدفي، وللحديث طريق أخرى يكون بها حسنًا لغيره، أخرجها أحمد (٢/ ١٧٥)، فقال: ثنا حسن، ثنا ابن لهيعة، ثنا دراج عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا، فذكره، وأخرجها ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٧٠٢)، رقم (٩٤٢) من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة، وهذا إسناد ضعيف، فدراج هو ابن سمعان فيه ضعف، وابن لهيعة، وإن كان ضعيفًا لكن ابن وهب روى عنه من أصوله.

وعبد الرحمن بن جبير: هو المصري المؤذن مولى نافع بن عمرو وهو ثقة، وروايته عن عبد الله بن عمرو في مسلم.

والحديث قد جاء عن عقبة بن عامر، رواه أحمد (٤/ ١٥١)، فقال رحمه الله: ثنا أبو سعيد، ثنا ابن لهيعة، ثنا مشرح عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ، فذكره.

وأخرجه أيضًا (٤/ ١٥٥)، والفرياني في «صفة المنافق» رقم (٣٢، ٣٣، ٣٤)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٧٠٣)، رقم (٩٤٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٣٥٧)، وتمام في «فوائده» كما في «الروض البسام» (٤/ ١١٨)، عن جمع عن ابن لهيعة به. ومن هؤلاء الجمع: ابن المبارك عند الفرياني (٣٣)، وعبد الله بن وهب عند ابن بطة، وقد رويا عن ابن لهيعة من أصوله، وقد تابع ابن لهيعة الوليد بن المغيرة عند البيهقي في «الشعب» (٥/ ٣٦٣)، والفرياني في «صفة المنافق» رقم (٣٥)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» ص (٢١٦) من عقائد السلف، والوليد بن المغيرة ثقة، ومشرح: هو ابن هاعان حسن الحديث كما في التحرير، هكذا رواه الجماعة عن ابن لهيعة.

وروى أسد بن موسى، ويحيى بن إسحاق السيلحيني، وسعيد بن أبي مريم، - واسم أبيه الحكم - قالوا: ثنا ابن لهيعة عن أبي عشانة عن عقبة بن عامر مرفوعًا كما عند الطبراني (١٧/ ٣٠٥)، وقد اختلف على سعيد بن أبي مريم، فرواه عنه يحيى بن أيوب العلاف عند الطبراني كما سبق، ورواه عنه البرقي: وهو محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم، وهو ثقة.

وعند الروياني في «مسنده» رقم (٢١١): أَيمنُ بن علي عن ابن أبي مريم، ثنا ابن لهيعة عن مشرح به، وهذا هو المحفوظ عن سعيد بن أبي مريم، والموافق لرواية الجماعة الكثيرة عن ابن لهيعة، والله أعلم.

فيحمل أن ابن لهيعة تحمله عن مشرح بن هاعان، وأبي عشانة، ويحتمل أنه اضطرب فيه، فإنه سيء الحفظ، وهذا أقرب، والصحيح أنه من طريق مشرح؛ لأنَّ رواية الجماعة الكثيرة عن ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان، وفي هؤلاء الجماعة: عبد الله بن المبارك، وابن وهب، وقد رويا عن ابن لهيعة من أصوله، وأيضًا قد تابع ابن لهيعة على هذا الوجه الوليد بن المغيرة كما سبق، وهو ثقة، **فالحديث حسن**.

وقد جـــاء عن ابن عباس، رواه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢٧٤) ترجمة (حفص بن عمر) من طريق حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا، فذكره.

وقال العقيلي عقبه: لا يتابع على هذا أيضًا من حديث ابن عباس، وقد روي هذا عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ بإسناد صالح. اهـ

وحفص بن عمر: ضعيف.

وجاء عن عصمة بن مالك الخطمي عند الطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٧٩) رقم (٤٧١)، وسنده ضعيف جدًا، فالحديث صحيح لغيره بمجموع حديثي عبد الله بن عمرو، وعقبة بن عامر.

معنى الحديث: قال ابن بطة في «الإبانة»: قال الشيخ عبيد الله بن محمد: فإن سأل سائل عن معنى هذا الحديث، وقال: لم خص القراء بالنفاق دون غيرهم؟

فالجواب عن ذلك: إن الرياء لا يكاد يوجد إلا في من نسب إلى التقوى، ولأن العامة، والسوقه قد جهلوه، والمتحلين بحلية القراء قد حذقوه، والرياء هو النفاق؛ لأن المنافق هو الذي يُسِرُّ خلاف ما يظهر، ويُسِرُّ ضد ما يبطن، ويصف المحاسن بلسانه، ويخالفها بفعله، ويقول ما يعرف، ويأتي ما ينكر، ويترصد الغفلات؛ لانتهاز الهفوات.

وقال عبدالله بن المبارك رحمه الله: هم الزنادقة لأن النفاق على عهد رسول الله ﷺ هي الزندقة بعده. اهـ

وقال البغوي في «شرح السنة» (١/ ٧٧): فهو أن يعتاد ترك الإخلاص في العمل كما جاء (التاجر فاجر)، وأراد إذا اعتاد التاجرالكذب في البيع، والشراء، لا أن نفس التجارة فجور، بل هي أمر ماذون فيه مباح في الشرع.

وقال ابن الأثير في «النهاية» (٤/ ٣١): أي أنهم يحفظون القرآن نفيًا للتهمة عن أنفسهم، وهم معتقدون تضيعه. وكان المنافقون في عصر النبي ﷺ بهذه الصفة.

وقال المِنَّاوي في «فيض القدير» (٢/ ٨٠): أي الذين يتأولونه على غير وجهه، ويضعونه في غير مواضعه، ثم ذكر كلام ابن الأثير السابق، وقال نقلًا عن الزمخشري المعتزلي: أراد بالنفاق الرياء؛ لأن كلًا منهما إرادة ما في الظاهر خلاف ما في الباطن.

وعن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا، وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا**

رِيحٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ». رواه البخاري (٥٤٢٧)، (٥٠٢٠)، وغيرهما من المواضع، ومسلم (٧٩٧)، وغيرهما.

قال الحافظ: وقع في رواية سفينة عن قتادة: «**المُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَيَعْمَلُ بِهِ**». وهي في البخاري.

الأُتْرُجَّة: هي ثمر جامع لطيب الطعم، والرائحة، وحسن اللون. يشبه البطيخ، وللأترج منافع كثيرة ذكر شيئًا من ذلك الحافظ في «الفتح» (٥٠٢٠)، وأوسع منه الحافظ ابن القيم في «الزاد»، وفي نهاية كلامه، قال: وحقيق بشيء هذه منافعه أن يُشبَّه به خلاصة الوجود، وهو المؤمن الذي يقرأ القرآن، وكان بعض السلف يحب النظر إليه لما في منظره من التفريح. اهـ

والنبي ﷺ شبَّهَ المنافق الذي يقرأ القرآن بالريحانة التي طعمها مر، وهكذا المنافق لا تطاق معاشرته؛ لعظم شره، ومرارة طبعه، فإذا قرأ القرآن لا ينتفع به، وقد ينتفع به بعض السامعين كما يفوح الريح الطيب من الريحانة، فيستراح له، وقد يستفاد منه، وإذا لم يقرأ القرآن، فهو على حقيقته من مرارة الطبع، وعظم الشر، فشبَّههُ بالحنظلة التي يضرب بها المثل في المرارة.

والمنافقون وإن قرءوا القرآن وتعلموه؛ فمن أجل مُماراة المؤمنين ومجادلتهم، لا لقصد الانتفاع والعمل.

قال الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - (٤/ ١٥٦): حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الحُبَابِ، حَدَّثَنِي أَبُوالسَّمْحِ، حَدَّثَنِي أَبُوقَبِيلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِنِّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي اثْنَتَيْنِ: القُرْآنَ، وَاللَّبَنَ. أَمَّا اللَّبَنُ فَيَبْتَغُونَ الرِّيفَ، وَيَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ، وَيَتْرُكُونَ الصَّلَوَاتِ. وَأَمَّا القُرْآنُ فَيَتَعَلَّمُهُ المُنَافِقُونَ فَيُجَادِلُونَ بِهِ المُؤْمِنِينَ**».

الحديث أخرجه الطبراني في الكبير جـ(١٧) رقم (٨١٨) من طريق زيد بن الحباب به.

وأخرجه البخاري في «أفعال العباد» (٦١٥) من طريق يزيد بن الحارث عن درَّاج أبي السَّمح به.

وأبوالسَّمح درّاج هو ابن سمعان، ضعيف، وبقية رجاله ثقات، وأبوقبيل هو حيي بن هانئ المعافري، وقد تابع أبا السمح:

(١) ابنُ لهيعة عند أحمد (١٧٣١٨، ١٧٤١٥)، والطبراني جـ(١٧) رقم (٨١٦) وغيرهما.

وفي الموضع الثاني من مسند أحمد قال ابن لهيعة: وحدثنيه يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر الجهني مرفوعًا.

(٢) الليث بن سعد عند يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٥٠٧)، والطبراني جـ(١٧) رقم (٨١٥)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضلة» (٢/ ١٩٣)، والراوي عن الليث كاتبه أبوصالح عبدالله بن صالح، وهو ضعيف.

(٣) مالك بن الخير الزبادي عند البيهقي في الشعب (٢٩٦٤)، والطبراني جـ(١٧) رقم (٨١٧)، والحاكم (٢/ ٣٧٤).

ومالك بن الخير الزبادي، قال الذهبي في «الميزان»: محله الصدق، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال ابن القطان: هو ممن لم تثبت عدالته. قال الذهبي: يريد أنه ما نصَّ أحدٌ على أنه ثقة. اهـ المراد.

قلت: بل قد ثبتت عدالته، ونُصَّ على ثقته، ففي تأريخ أبي زرعة الدمشقي رقم (١٠٩٤) قال أبوزرعة لأحمد بن صالح المصري: ما تقول في مالك بن الخير الزبادي؟ قال: ثقة. اهـ والزبادي نسبة إلى زباد - بالباء الموحدة - موضع في المغرب.

والراوي للحديث عن الزبادي: عبدالله بن وهب عند من ذُكِرَ، وعن ابن وهب عند الطبراني: أحمد بن صالح المصري، وعند الحاكم والبيهقي: سليمان بن عبدالرحمن الدمشقي، حسن الحديث، وعن أحمد بن صالح: إسماعيل بن الحسن الخفاف المصري، أكثر عنه الطبراني ووثقه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٣٥)، وعن سليمان بن عبدالرحمن الدمشقي عند الحاكم: أبوحاتم الرازي، وعند البيهقي: عبيد بن شريك.

فالحديث بهذا الإسناد صحيح، ويزداد قوة بالأسانيد السابقة.

وفي بعض روايات الحديث: **«أُنَاسٌ يُحِبُّونَ اللَّبَنَ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ الجَمَاعَاتِ، وَيَتْرُكُونَ الجُمُعَاتِ»**.

واللبن لا يتيسر الإكثار منه إلا في البادية، فيخرجون إليها، فيؤدي ذلك إلى ترك الجمع والجماعات. قاله السندي كما في حاشية المسند (٢٨/ ٥٥٦).

وقال الإمام الفرياني رحمه الله في «صفات المنافقين» (٤١): أخبرنا أبو خالد يزيد بن خالد بن موهب الرملي بالرملة سنة اثنتين، وثلاثين، حدثنا الليث بن سعد عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب الزهري: أن أبا إدريس عائذ الله بن عبد الله الخولاني أخبره: أن يزيد بن عميرة - وكان من أصحاب معاذ بن جبل - قال: كان معاذ بن جبل لا يجلس مجلسًا للذكر إلا قال حين يجلس: (الله حكم قسط، وتبارك اسمه، هلك المرتابون).

وقال معاذ بن جبل يومًا: (إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن، والمنافق، والرجل، والمرأة، والصغير، والكبير، والحر، والعبد، فيوشك قائل أن يقول: ما للناس لا يتَّبِعوني، وقد قرأت القرآن؟ ما هم بمُتَّبِعيَّ حتى ابتدع لهم غيره، فإياكم، وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة، وأنذركم زينة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق). **الأثر صحيح**.

وقال الفريابي رحمه الله (٤٢): حدثنا العباس بن محمد، حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدثنا أبي عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب الزهري: حدثني أبو إدريس الخولاني: أن يزيد بن عميرة - وكان من أصحاب معاذ - قال: إن معاذًا كان لا يجلس مجلسًا يذكر الله إلا قال حين يجلس: (الله حكم قسط، تبارك اسمه، هلك المرتابون)، قال يزيد: قال معاذ في مجلس جلسه: (إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتى يأخذ به المؤمن، والمنافق، والرجل، والمرأة، والصغير، والكبير، والحر، والعبد)، فذكر مثله. **إسناده صحيح**.

وقد بوب الفرياني رحمه الله على هذا الأثر بقوله: (قد يقول المنافق كلمة الحق).

أصحاب أوجه يتلونون ويختلفون

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[البقرة:١٤].

قال الإمام البخاري رحمه الله: (باب ما قيل في ذي الوجهين) (٦٠٥٨): حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا أبو صالح، عن أبي هريرة رضي

الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اللهِ ذَا الوَجْهَيْنِ: الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ**». ورواه مسلم (٢٥٢٦).

قال الحافظ في «الفتح»: قال القرطبي: إنما كان ذو الوجهين شر الناس؛ لأن حاله حال المنافق، إذ هو متملق بالباطل، وبالكذب مدخل الفساد بين الناس.

وقال النووي: هو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها، فيظهر لها أنه منها، ومخالف لضدها، وصنيعه نفاق، ومحض كذب، وخداع، وتحيل على الاطلاع على أسرار الطائفتين، وهي مداهنة محرمة. اهـ المراد.

وقال الإمام البخاري (٧١٧٨): حدثنا أبو نعيم، حدثنا عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه، قال أناس لابن عمر: إنا ندخل على سلطاننا، فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم، قال: (كنا نعدها نفاقًا).

قال الحافظ: في رواية الطيالسي عن عاصم: (سلاطيننا) بالجمع.

وقال الإمام أبو بكر الفرياني في «صفة المنافق» (٧٠): حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن أبي الشعثاء، قال: دخل نفر على عبدالله بن عمر من أهل العراق، فوقعوا في يزيد بن معاوية، فتناولوه، فقال لهم عبدالله: هذا قولكم لهم عندي، أتقولون هذا في وجوههم؟ قالوا: لا، بل نمدحهم، ونثني عليهم، فقال ابن عمر: (هذا النفاق عندنا). **الأَثَرُ صحيح**.

وأبو الشعثاء هو جابر بن زيد الأزدي، وإبراهيم هو ابن يزيد النخعي، ومنصور هو ابن المعتمر، وجرير هو ابن عبد الحميد.

يعترضون على أقدار الله سبحانه وتعالى

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[آل عمران:١٦٨].

قال ابن كثير في «تفسيره»: أي لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود، وعدم الخروج؛ ما قتلوا مع من قتل.

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أي: إن كان القعود يسلم به الشخص من القتل، والموت، فينبغي أنكم لا تموتون، والموت لابد آتٍ إليكم، ولو كنتم في بروج مشيدة، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين. اهـ

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٌ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٍۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[آل عمران:١٥٤]، والذي أخفوه في أنفسهم قولهم: ﴿لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾[آل عمران:١٥٦].

قال الشوكاني في «فتح القدير»: قوله: (لا تكونوا كالذين كفروا): هم المنافقون الذين قالوا: (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا)، قوله: (وقالوا لإخوانهم) في النفاق، أو في النسب.

وقال الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان»: ذكر في هذه الآية الكريمة: أن المنافقين إذا مات بعض إخوانهم يقولون: لو أطاعونا، فلم يخرجوا إلى الغزو؛ ما قتلوا. اهـ المراد.

قال السعدي رحمه الله في «تفسيره»: ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يشابهوا الكافرين الذين لا يؤمنون بربهم، ولا بقضائه، وقدره من المنافقين، وغيرهم، ينهاهم عن مشابهتهم في كل شيء، وفي هذا الأمر الخاص، وهو أنهم يقولون لإخوانهم في الدين، أو في النسب: (إذا ضربوا في الأرض) أي: سافروا للتجارة، (أو كانوا غزى) أي: غزاة، ثم جرى عليهم قتل، أو موت، يعارضون القدر، ويقولون: (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا)، وهذا كذب منهم، فقد قال الله تعالى: ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾[آل عمران:١٥٤].

ملعونون أينما ثقفوا (أي: وجدوا)

قال الله تعالى فيهم: ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[الأحزاب:٦١-٦٢].

فهم مطرودون مبعدون، أينما وجدوا: (أُخذوا)؛ لذلتهم، وهوانهم، (وقُتِّلوا تقتيلًا).

فهذه سنة الله في المنافقين إذا استمروا في كفرهم، ونفاقهم، وأذيتهم: أن الله يسلط عليهم أهل الإيمان؛ فيذلونهم، ويقهرونهم، وسنة الله في ذلك لا تبدل، ولا تغير.

فالشأن كل الشأن أن يصدق المؤمنون في إيمانهم، وأن يتوكلوا على الله ربهم، وليبشروا بنصر الله لهم، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم:٤٧]، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾[غافر:٥١].

استحوذ عليهم الشيطان وسيطر عليهم فصاروا من حزبه الخاسر

قال الله تعالى في سياق ذكر المنافقين: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[المجادلة:١٩].

مطبوع على قلوبهم ومُتَّبِعون لأهوائهم

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[محمد:١٦].

وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[القصص:٥٠]، وما أبعدهم عن الإستجابة لله، ولرسوله ﷺ.

أثر للحسن البصري

قال الإمام الفرياني في «صفة المنافق» (٤٩): حدثنا أحمد بن خالد، حدثنا شعيب بن حرب، حدثنا ابو الأشهب عن الحسن، قال: (المنافق يعبد هواه لا يهوى شيئًا إلا ركبه). **سنده صحيح.**

وأبو الأشهب: هو جعفر بن حيان العطاردي البصري، وشعيب بن حرب هو المدائني أبو صالح، وأحمد بن خالد هو الخلال، وكلهم ثقات.

أثر لقتادة بن دعامة رحمه الله

قال الإمام الفرياني رحمه الله (٤٦): حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام بن يحيى عن قتادة: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[الجاثية:٢٣] (المنافق إذا هوى شيئًا ركبه).

سنده صحيح.

لا يثبتون عند الفتن والمصائب بل ينقلبون على أعقابهم ويظهرون على حقيقتهم

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾[العنكبوت:١٠-١١].

قال ابن كثير رحمه الله: يقول الله تعالى مخبرًا عن صفات قوم من المكذبين الذين يدعون الإيمان بألسنتهم، ولم يثبت الإيمان في قلوبهم، بأنهم إذا جاءتهم فتنة، ومحنة في الدنيا؛ اعتقدوا أن هذا من نقمة الله تعالى بهم، فارتدوا عن الإسلام.

قال ابن عباس: يعني فتنته أن يرتد عن دينه إذا أوذي في الله، وكذا قال غيره من علماء السلف، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[الحج:١١] اهـ المراد.

وقال الشنقيطي رحمه الله: يعني أن من الناس من يقول: آمنا بالله بلسانه؛ فإذا أوذي في الله أي: آذاه الكفار إيذاءهم للمسلمين؛ جعل فتنة الناس صارفة له عن الدين إلى الردة، والعياذ بالله، كعذاب الله، فإنه صارف رادع للكفر، والمعاصي.

ومعنى فتنة الناس: الأذى الذي يصيبه من الكفار، وإيذاء الكفار للمؤمنين من أنواع الإبتلاء الذي هو الفتنة، وهذا قال به غير واحد.

وعليه فمعنى الآية الكريمة كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[الحج:١١] اهـ المراد.

قال مجاهد، وقتادة، وغيرهما: (على حرف): على شك، وقال غيرهم: على طرف، ومنه حرف الجبل، أي: طرفه، أي: دخل في الدين على طرف، فإن وجد ما يحبه استقر، وإلا انشمر. قاله ابن كثير رحمه الله.

وقال الإمام البخاري رحمه الله (٤٧٤٢): حدثنا إبراهيم بن الحارث، حدثنا يحيى بن أبي بكير، حدثنا إسرائيل عن أبي حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ قال: كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلامًا، ونُتِجَتْ خَيلُه؛ قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته، ولم تُنْتَج خيلُه؛ قال: هذا دين سوء. اهـ

ومن انقلب على عقبيه، ورجع القهقرى؛ فلن يضر الله شيئًا، وسيجزي الله الثابتين على دينهم الذابين عنه، المقاتلين من أجله أجرًا عظيمًا.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٤].

أعمالهم باطلة بسبب كفرهم ويجعلها الله هباءً منثورًا

قال الله: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[التوبة:٥٣-٥٤].

وقال الإمام ابن ماجه رحمه الله (٢/ ١٤١٨): حدثنا عيسى بن يونس الرملي حدثنا عقبة بن علقمة بن خديج المعافري عن أرطأة بن المنذر عن أبي عامر الألهاني، عن ثوبان عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا**» قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا**» **سنده حسن.**

والهباء واحده هباءة، والجمع أهباء، قال النضر بن شميل: الهباء: التراب الذي تطيره الريح كأنه دخان، وقال الزجاج: هو ما يدخل من الكوة مع ضوء الشمس يشبه الغبار، وكذا قال الأزهري: والمنثور: المفرق.

وبعد أن انتهينا من جمع ما تيسر جمعه من صفاتهم، نذكر إن شاء الله ما تيسر من أَحكامهم، وأحوالهم الأُخروية.

أحكام المنافقين وأحوالهم

حكمهم في الدنيا أنهم يعاملون معاملة المسلمين لما أظهروا من الإسلام مع حَذَرٍ ويقظة

فالمنافقون حين أظهروا نور الإيمان، وكانوا في ركاب المؤمنين؛ انتفعوا بذلك بأن حقنت دماؤهم، وحفظت أموالهم، وصينت أعراضهم، وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا، فإذا هجم عليهم الموت، نالهم ما ينال الكافرين، بل أشد، من الظلمات التي بعضها فوق بعض: ظلمة المعاصي، والنفاق، والكفر، وظلمة القبر، وبعد ذلك ظلمة النار وبئس القرار، وحظهم منها الدرك الأسفل.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة:١٧-٢٠].

فضرب الله لهم مثلين:

فالأول منهما ناري: كالذي استوقد نارًا بعد أن كان في ظلمة عظيمة، وحاجة إِلى النَّار شديدة، فاستوقدها من غيره، ولم تكن عنده معدة، بل هي خارجة عنه، فلما أضاءت النار ما حوله، ونظر المحل الذي هو فيه، وما فيه من المخاوف، وأمنها وانتفع بتلك النار وقرت بها عينه، وظن أنه قادر عليها، فبينما هو كذلك؛ إذ ذهب الله بنوره، فذهب عنه النور وذهب عنه السرور، وبقي في الظلمة العظيمة، والنار

المحرقة، فذهب ما فيها من الإشراق وبقي ما فيها من الإحراق، فبقي في ظلمات متعددة: ظلمة الليل، وربما كانت ظلمة السحاب، والظلمة الحاصلة بعد النور.

ثانيهما المثل المائي: في قوله تعالى: (أو كصيب من السماء) يعني: أو مثلهم كصيب أي: كصاحب صيب من السماء، وهو المطر الذي يصوب، أي: ينزل بكثرة (فيه ظلمات): ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر و (رعد): وهو الصوت الذي يسمع من السحاب، و (برق): وهو الضوء اللامع المشاهد مع السحاب (جعلوا أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت) وكلما أضاء لهم البرق في تلك الظلمات (مشوا فيه)، (وإذا أظلم عليهم قاموا) أي: وقفوا.

فهكذا حال المنافقين إذا سمعوا القرآن، وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده؛ جعلوا أصابعهم في آذانهم، وأعرضوا عن أمره ونهيه ووعده ووعيده، فيروعهم وعيده وتزعجهم وعوده، فهم يعرضون عنها غاية ما يمكنهم، ويكرهونها كراهة صاحب الصيب الذي يسمع الرعد، ويجعل أصابعه في أذنية خشية الموت. اهـ من تفسير السعدي مع تصرف يسير، وأوسع من تكلم عن هذين المثلين فيما رأيت ابن القيم رحمه الله كما في «بدائع التفسير».

ومن الأدلة أيضًا على أنَّهم يُعاملون مُعاملة المسلمين في الدنيا:

ما رواه البخاري في «صحيحه» (٢٦٤١): عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (إن أُناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرًا، أَمنَّاه وقربناه وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا، لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة).

وروى أبو داود من طريق زيد بن وهب، قال: أُتي ابن مسعود فقيل: هذا فلان تقطر لحيته خمرًا، فقال عبد الله: (إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به).

قال شيخنا في «الصحيح المسند»: **هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.**

وروى الإمام أحمد (٥/ ٤٣٢) في «مسنده» فقال رحمه الله: ثنا عبد الرزاق، أنا ابن جريج، أخبرني ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثي عن عبد الله بن عدي بن الخيار: أن رجلًا من الأنصار حدثه: أتى رسول الله ﷺ وهو في مجلس، فسارَّهُ يستأذنه في قتل رجل من المنافقين، فجهر رسول الله ﷺ، فقال: «**أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟**»، قال الإنصاري: بلى يا رسول الله، ولا شهادة له، قال رسول الله ﷺ: «**أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؟**»، قال: بلى يا رسول الله، ولا شهادة له، قال: «**أَلَيْسَ يُصَلِّي؟**»، قال: بلى يا رسول الله، ولا صلاة له، فقال رسول الله ﷺ: «**أُولَئِكَ الَّذِينَ نَهَانِي اللهُ عَنْهُمْ**».

وقال رحمه الله: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن عبيد الله بن عدي بن الخيار عن عبد الله بن عدي الأنصاري حدثه: أن رسول الله ﷺ بينا هو جالس إذ جاءه رجل يعني يستأذنه أن يساره، فذكر معناه.

هذا حديث صحيح، وقد سمى معمر الصحابي.

قال شيخنا مقبل ـ رحمه الله ـ في «الجامع الصحيح» (٥/ ١٨١):

واعلم أنه قد أرسل هذا الحديث الإمام مالك كما في «الموطأ» مع «تنوير الحوالك» (ج١ص١٨٥)، وسفيان بن عيينه كما في «الصلاة» لمحمد بن نصر المروزي (٢/ ٩١٣)، وأسنده ابن جريج ومعمر كما تقدم عند الإمام أحمد، وهكذا

عند محمد بن نصر المروزي في «الصلاة»، والليث بن سعد، وصالح بن كيسان كما في «الصلاة» لمحمد بن نصر المروزي، فالظاهر أن الوصل زيادة لم يعارضها ما هو أرجح منها، فوجب قبولها لا سيما، والإمام مالك إذا شك في وصل الحديث، وإرساله رواه مرسلًا، والله أعلم. اهـ

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «الفتح» (١٢/ ٢٧٣) ط. سلفية: وكلهم أجمعوا على أن أحكام الدنيا على الظاهر، والله يتولى السرائر، وقد قال النبي ﷺ لأسامة: «**هَلَّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ؟**»، وقال للذي ساره في قتل رجل: «**أَلَيْسَ يُصَلِّي؟**»، قال: نعم، قال: «**أُولَئِكَ الَّذِينَ نُهِيتُ عَنْ قَتْلِهِمْ**»، وسيأتي قريبًا أن بعض طرق حديث أبي سعيد: أن خالد بن الوليد لما استأذن في قتل الذي أنكر القسمة، وقال: كم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ**» أخرجه مسلم، والأحاديث في ذلك كثيرة. اهـ

حديث أسامة الذي ذكره الحافظ في «الصحيحين»، وهكذا حديث أبي سعيد في «البخاري» و «مسلم» تحت رقم (١٠٦٤)، فإن أظهر المنافق كفره يستتاب، إن تاب، وإلا قتل؛ لما رواه البخاري (٦٩٢٢) عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»، وروى البخاري (٤٣٤١)، (٦٩٢٣) ومسلم (١٧٣٣) عن أبي موسى حين أرسله النبي ﷺ، ومعاذًا إلى اليمن، فزار معاذٌ أخاه أبا موسى، فإذا رجل موثق قال: ما هذا؟ قال أبو موسى: كان يهوديًا، فأسلم، ثم تهود قال: اجلس، قال معاذ: لا أجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله (ثلاث مرات)، فأمر به، فقتل.

فإن قيل: النبي ﷺ قد أعلمه الله ببعض المنافقين، وقد أَسَرَّ إلى حذيفة ببعضهم، وقد صلى على رئيس المنافقين عبدالله بن أبي ابن سلول حين مات، وكفنه بقميصه؟

فالجواب: ما رواه البخاري (٣٥١٨) ومسلم (٢٥٨٤) عن جابر حين قال عبد الله بن أُبيّ ابن سلول: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**».

ولما رواه مسلم (١٠٦٣) عن جابر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أيضًا قال: أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة منصرفه من حنين وفي ثوب بلال فضَّة ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس فقال : يا محمد، اعدل، قال: «**وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَنَا أَعْدِلُ؟! لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَنَا أَعْدِلُ**» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فاقتل هذا المنافق، فقال: «**مَعَاذَ الله، أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسَ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**».

فيمتنعُ كثيرٌ من الناس الدخول في الإسلام، ولا مانع أن يرتدَّ من هو حديث عهد بكفر، ولم يَعْقِل كثيرًا من أحكام الإسلام، وفي «الفتح» (١٢/ ٢٧٣):

واستدل لمالك بأن توبة الزنديق لا تعرف، قال: وإنما لم يقتل النبي ﷺ المنافقين للتأليف، ولأنه لو قتلهم؛ لقتلهم بعلمه، فلا يؤمن أن يقول قائل: إنما قتلهم لمعنى آخر. اهـ

وأما صلاته ﷺ على عبد الله بن أُبيّ ابن سلول، فكان قبل النهي.

روى الإمام البخاري (٤٦٧٠) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٧٧٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما توفي عبد الله بن أُبيّ جاء ابنه عبدالله بن عبدالله إلى رسول الله ﷺ، فسأله أن يعطيه قميصه، يُكفِّنُ فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله

أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله، فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه، وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ، فَقَالَ:** ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ **وَسَأَزِيدُهُ عَلَى السَّبْعِينَ**»، قال: إنه منافق، قال: فصلَّى عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[التوبة:٨٤] جاء في بعض طرقه في مسلم: فترك الصلاة عليهم. اهـ

فما صلى رسول الله ﷺ على منافق بعده حتى قبضه الله.

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/ ٢٩٩): حدثنا يعقوب، حدثنا أبي عن أبيه، حدثني عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دعي لجنازة، سأل عنها، فإن أُثني عليها خيرٌ؛ قام فصلى عليها، وإن أُثني عليها غيرُ ذلك، قال لأهلها: «**شَأْنُكُمْ بِهَا**»، ولم يصل عليها.

إسناده على شرط الشيخين، وقال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٣-٤): رجاله رجال الصحيح، وأخرجه عبد بن حميد (١٦٩)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٣/ ٥٧)، والحاكم (١/ ٣٦٤) من طريق إبراهيم بن سعد به.

قال ابن كثير في «تفسيره» عند الآية: أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يبرأ من المنافقين، وألا يصلي على أحد منهم إذا مات، وألا يقوم على قبره يستغفر له، أو يدعو له؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله، وماتوا عليه، وهذا حكم عام في كل من عرف نفاقه، وإن كان سبب نزول الآية في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين. اهـ

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين دعي لجنازة، فخرج فيها، أو أرادها، فنهاه حذيفة، فترك. وقد سبق الحديث في خوف السلف من النفاق، وقد بوب عليه الهيثمي في «كشف الأستار»: (النهي عن الصلاة على المنافق).

وكون النبي ﷺ ألبس عبد الله بن أبي قميصه وأمر به فأخرج من قبره ووضعه على ركبتيه، ونفث عليه من ريقه كما في حديث جابر الذي رواه البخاري رحمه الله (١٣٥٠) قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أُبَيٍّ بعدما أدخل حفرته، فأمر به فأخرج، فوضعه على ركبتيه، ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه فالله أعلم وكان كسا عباسًا قميصًا.

قال سفيان: وقال أبو هارون: وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان فقال له ابنه: عبد الله : يا رسول الله ألبس أبي قميصك الذي يلي جلدك.

قال سفيان: فيرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس عبد الله قميصه مكافأة لما صنع هكذا في البخاري، ورواه مسلم (٢٧٧٣).

قال ابن كثير في «تفسيره»: وقد ذكر بعض السلف أنه إنما ألبسه قميصه؛ لأن عبد الله بن أبي لما قدم العباس طُلِبَ له قميص، فلم يوجد على تفصيله إلا ثوب عبد الله بن أبي، لأنه كان ضخمًا طويلًا، ففعل ذلك به رسول الله ﷺ مكافأة له، فالله أعلم. اهـ

وأيضًا تطييبًا لابنه عبد الله، فقد كان من أفاضل الصحابة، وممن شهد بدرًا.

وقال الإمام النووي في «شرح مسلم» (١٥/ ١٦٧): وأما حديث صلاة النبي ﷺ على عبد الله بن أبي المنافق وإلباسه قميصه واستغفاره له ونفثه عليه من ريقه فسبق شرحه والمختصر منه أنه ﷺ فعل هذا كله إكرامًا لابنه، وكان صالحًا، وقد صرح

مسلم في رواياته بأن ابنه سأل ذلك، ولأنه أيضًا من مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم وحسن معاشرته لمن انتسب إلى صحبته، وكانت هذه الصلاة قبل نزول قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾[التوبة:٨٤] كما صرح به في هذا الحديث.

وقيل: ألبسه القميص مكافأة بقميص كان ألبس العباس. اهـ

هل للمنافق توبة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١١٠): لَكِنَّ الْعُلَمَاءَ لَهُمْ قَوْلَانِ فِي الزِّنْدِيقِ إذَا أَظْهَرَ التَّوْبَةَ: هَلْ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ فَلَا يُقْتَلُ؟ أَمْ يُقْتَلُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ صِدْقَهُ؛ فَإِنَّهُ مَا زَالَ يُظْهِرُ ذَلِكَ؟ فَأَفْتَى طَائِفَةٌ بِأَنَّهُ يُسْتَتَابُ فَلَا يُقْتَلُ، وَأَفْتَى الْأَكْثَرُونَ بِأَنَّهُ يُقْتَلُ وَإِنْ أَظْهَرَ التَّوْبَةَ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فِي تَوْبَتِهِ نَفَعَهُ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ وَقُتِلَ فِي الدُّنْيَا؛ وَكَانَ الْحَدُّ تَطْهِيرًا لَهُ، كَمَا لَوْ تَابَ الزَّانِي وَالسَّارِقُ وَنَحْوُهُمَا بَعْدَ أَنْ يُرْفَعُوا إلَى الْإِمَامِ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ إقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ إنْ كَانُوا صَادِقِينَ كَانَ قَتْلُهُمْ كَفَّارَةً لَهُمْ وَمَنْ كَانَ كَاذِبًا فِي التَّوْبَةِ كَانَ قَتْلُهُ عُقُوبَةً لَهُ. اهـ المراد

وقال ابن المندر رحمه الله في «الإشراف» (٢/ ٢٤٧-٢٤٨): واختلفوا في الزنديق يُظْهَرُ عليه، هل يستتاب، أم يقتل ولا يقبل منه الرجوع؟

فقالت طائفة: تقبل توبته إن تاب، ويقتل إن لم يتب، يروى هذا عن علي بن أبي طالب، وبه قال عبيدالله بن الحسن والشافعي. وكان مالك والليث بن سعد وأحمد وإسحاق يقولون: لا يستتابون. وقال مالك: يقتل الزنادقة ولا يستتابون. وقال أحمد: الزنديق لا يستتاب، وذكر ذلك عن إسحاق بن منصور عنه. وذكر الأثرم أنه ذكر لأحمد الزنديق، فقال: لا أدري.

قال ابن المنذر: كما قال الشافعي أقول، وقد احتج بقول الله تعالى في المنافقين: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[المجادلة:١٦]، قال: وهذا يدل على إظهار الإيمان جُنَّةً من القتل.

وقال المقداد لرسول الله ﷺ: أرأيت إن اختلفت أنا ورجلٌ من المشركين ضربتين بالسيف، فضربني فقطع يدي، فلما أَهويتُ إليه لأقتله قال: لا إله إلا الله، أأقتله أم أدعه؟ قال: «**بَلْ دَعْهُ**»[1]. اهـ

وقال الإمام الشنقيطي في «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» عند قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ**﴾[آل عمران:٩٠].

اختلف العلماء في توبة الزنديق أعني المستسر بالكفر، فمن قائلٍ لا تقبل توبته، ومن قائل: تقبل توبته، ومن مفرِّقٍ بين إتيانه تائبًا قبل الاطلاع عليه وبين الاطلاع على نفاقه قبل التوبة، كما هو معروف في فروع مذاهب الأئمة الأربعة لأن الذين يقولون: يقتل ولا تقبل توبته يرون أن نفاقه الباطن دليل على أن توبته تقية لا حقيقة واستدلوا بقوله تعالى: ﴿**إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ**﴾[البقرة:١٦٠] فقالوا: الإصلاح شرط والزنديق لا يُطَّلع على إصلاحه، لأن الفساد أتى مما أسره فإذا اطلع عليه وأظهر الإقلاع لم يزل في الباطن على ما كان عليه، والذي يظهر أن أدلة القائلين بقبول توبته مطلقًا أظهر وأقوى، كقوله ﷺ لأسامة رضي الله عنه: «**هَلَّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ**».

(١) هو في مسلم (٩٥) بنحوه.

وقوله: للذي ساره في قتل رجل قال: «أَلَيْسَ يُصَلِّي؟» قال: بلى قال: «أُولَئِكَ الَّذِينَ نُهِيتُ عَنْ قَتْلِهِمْ».

وقوله لخالد لما استأذنه في قتل الذي أنكر القسمة: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ بِأَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ».

وهذه الأحاديث في الصحيح[1] ويدل لذلك أيضًا إجماعهم على أن أحكام الدنيا على الظاهر، والله يتولى السرائر.

وقد نص الله تعالى على أن الأيمان الكاذبة جنة للمنافقين في الأحكام الدنيوية بقوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾[المنافقون:٢]، وقوله: ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ﴾[التوبة:٩٥]، وقوله: ﴿وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ﴾[التوبة:٥٦] الآية، إلى غير ذلك من الآيات، وما استدل به بعضهم من قتل ابن مسعود لابن النواحة صاحب مسيلمة فيجاب عنه بأنه قتله لقول النبي ﷺ حين جاءه رسولان لمسيلمة: «لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَقَتَلْتُكَ»، فقتله ابن مسعود تحقيقًا لقوله ﷺ، فقد روي أنه قتله لذلك.

فإن قيل: هذه الآية الدالة على عدم قبول توبتهم أخص من غيرها؛ لأن فيها القيد بالردة وازدياد الكفر، فالذي تكررت منه الردة أخص من مطلق المرتد، والدليل على الأعم ليس دليلًا على الأخص؛ لأن وجود الأعم لا يستلزم وجود الأخص.

فالجواب: أن القرآن دل على قبول توبة من تكرر منه الكفر إذا أخلص في الإنابة إلى الله، ووجه دلالة القرآن على ذلك أنه تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ

(١) إلا حديث أولئك الذين نهاني عن قتلهم في أحمد وغيره.

سَبِيلًا ﴾[النساء:١٣٧]، ثم بين أن المنافقين داخلون فيهم بقوله تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[النساء:١٣٨] الآية.

ودلالة الاقتران وإن ضعفها الأصوليون فقد صححتها جماعة من المحققين، ولاسيما إذا اعتضدت بدلالة القرينة عليها كما هنا؛ لأن قوله تعالى: ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ فيه الدلالة الواضحة على دخولهم في المراد بالآية، بل كونها في خصوصهم قال به جماعة من العلماء، فإذا حققت ذلك، فاعلم أن الله تعالى نص على من أخلص التوبة من المنافقين تاب الله عليه بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾[النساء:١٤٥-١٤٧]

وقد كان مخشي بن حمير رضي الله عنه من المنافقين الذين أنزل الله فيهم قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ ﴾[التوبة:٦٥-٦٦] فتاب إلى الله بإخلاص، فتاب الله عليه وأنزل الله فيه: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ﴾[التوبة:٦٦] الآية فتحصل أنَّ القائلين بعدم قبول توبة من تكررت منه الردة، يعنون الأحكام الدنيوية ولا يخالفون في أنَّه إذا أخلص التوبة إلى الله قبلها منه؛ لأن اختلافهم في تحقيق المناط كما تقدم، والعلم عند الله تعالى. اهـ

وأذكر قصة مخشي بن حمير من مصدرها بتمامها مع بيان حالها للفائدة إن شاء الله.

قال الإمام ابن أبي حاتم في «تفسيره»: حدثنا أبي ثنا الحسن بن الربيع ثنا عبدالله ابن إدريس قال: قال: ابن إسحاق حدثني الزهري عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك عن أبيه عن جده كعب قال: قال مخشي بن حمير: لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منكم مائة مائة على أن ننجوا من أن ينزل فينا قرآن، فقال رسول ﷺ لعمار بن ياسر: «**أَدْرِكِ القَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا، فَاسْأَلْـهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ هُمْ أَنْكَرُوا وَكَتَمُوا، فَقُلْ: بَلَى، قَدْ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا**»، فأدركهم فقال لهم الذي أمر به رسول الله ﷺ فجاءوا لرسول الله ﷺ يعتذرون، وقال مخشي بن حمير: يا رسول الله، قعدبي اسمي واسم أبي، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾[التوبة:٦٦] فكان الذي عفا الله عنه: مخشي ابن حمير، فتسمى عبدالرحمن، وسأل الله أن يُقتل شهيدًا لايعلم بمقتله، فقتل يوم اليمامة، لا يعلم مقتله، ولا من قتله، ولا يرى له أثر ولا عين.

وهذا إسناد حسن من أجل محمد بن إسحاق وبقية رجاله ثقات وعبدالله بن إسحاق هو الأودي والحسن بن الربيع هو البجلي.

وقال السعدي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾[التوبة:٦٦] لتوبتهم واستغفارهم وندمهم.

وقال ابن قدامة رحمه الله في «المغني» (١٢/ ٢٧١) ط: دار هجر بعد أن ساق أقوال أهل العلم في حكم قبول توبة الزنادقة: وَفِي الجُمْلَةِ، فَالخِلَافُ بَيْنَ الأَئِمَّةِ فِي قَبُولِ تَوْبَتِهِمْ فِي الظَّاهِرِ مِنْ أَحْكَامِ الدُّنْيَا مِنْ تَرْكِ قَتْلِهِمْ، وَثُبُوتِ أَحْكَامِ الإِسْلَامِ فِي حَقِّهِمْ. وَأَمَّا قَبُولُ الله تَعَالَى لَهَا فِي البَاطِنِ، وَغُفْرَانُهُ لِمَنْ تَابَ وَأَقْلَعَ ظَاهِرًا أَمْ بَاطِنًا،

فَلَا خِلَافَ فِيهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ فِي المُنَافِقِينَ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء: ١٤٦]. اهـ

ويقول رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٠): وَالفُقَهَاءُ إِذَا تَنَازَعُوا فِي قَبُولِ تَوْبَةِ مَنْ تَكَرَّرَتْ رِدَّتُهُ أَوْ قَبُولِ تَوْبَةِ الزِّنْدِيقِ فَذَاكَ إِنَّمَا هُوَ فِي الحُكْمِ الظَّاهِرِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُوثَقُ بِتَوْبَتِهِ أَمَّا إِذَا قُدِّرَ أَنَّهُ أَخْلَصَ التَّوْبَةَ لله فِي البَاطِنِ فَإِنَّهُ يَدْخُلُ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر:٥٣]. اهـ

والصواب قبول توبة من أظهر التوبة منهم مع أخذ الحذر والحيطة.

قال ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٥٧): فَالطَّرِيقُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُحْتَاطَ فِي أَمْرِهِمْ فَلَا يُتْرَكُونَ مُجْتَمِعِينَ وَلَا يُمَكَّنُونَ مِنْ حَمْلِ السِّلَاحِ وَلَا أَنْ يَكُونُوا مِنَ المُقَاتِلَةِ وَيَلْزَمُونَ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ: مِنَ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ. وَيُتْرَكُ بَيْنَهُمْ مِنْ يُعَلِّمُهُمْ دِينَ الإِسْلَامِ وَيُحَالُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُعَلِّمِهِمْ. فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَسَائِرَ الصَّحَابَةِ لَـمَّا ظَهَرُوا عَلَى أَهْلِ الرِّدَّةِ وَجَاءُوا إِلَيْهِ قَالَ لَهُمُ الصِّدِّيقُ: اخْتَارُوا إِمَّا الحَرْبَ المُجْلِيَةَ وَإِمَّا السِّلْمَ المُخْزِيَةَ. قَالُوا: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ الله هَذِهِ الحَرْبُ المُجْلِيَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا فَمَا السِّلْمُ المُخْزِيَةُ؟ قَالَ: تَدُّوُنَّ قَتْلَانَا وَلَا نِدِّي قَتْلَاكُمْ، وَتَشْهَدُونَ أَنَّ قَتْلَانَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ، وَنُقَسِّمُ مَا أَصَبْنَا مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَتَرُدُّونَ مَا أَصَبْتُمْ مِنْ أَمْوَالِنَا، وَتُنْزَعُ مِنْكُمُ الحَلَقَةُ وَالسِّلَاحُ، وَتُمْنَعُونَ مِنْ رُكُوبِ الخَيْلِ، وَتُتْرَكُونَ تَتَّبِعُونَ أَذْنَابَ الإِبِلِ حَتَّى يَرَى اللهُ خَلِيفَةَ رَسُولِهِ وَالمُؤْمِنَيْنِ أَمْرًا بَعْدَ رِدَّتِكُمْ. فَوَافَقَهُ الصَّحَابَةُ فِي ذَلِكَ، إِلَّا فِي تَضْمِينِ قَتْلَى المُسْلِمِينَ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ: هَؤُلَاءِ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُجُورُهُمْ عَلَى اللهِ. يَعْنِي هُمْ شُهَدَاءُ فَلَا دِيَةَ لَهُمْ فَاتَّفَقُوا عَلَى قَوْلِ عُمَرَ فِي ذَلِكَ.»[١] اهـ المراد

حال المنافق حين تحضره الملائكة لقبض روحه وأمر ملك الموت لنفسه بالخروج

قال الإمام ابن ماجه رحمه الله (٤٢٦٢): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا شَبَابَةُ، عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: مَرْحَبًا**

---

(١) أخرج البخاري في «صحيحه» قطعة منه برقم (٧٢٢١) من طريق قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ لِوَفْدِ بُزَاخَةَ: تَتْبَعُونَ أَذْنَابَ الإِبِلِ، حَتَّى يُرِيَ اللهُ خَلِيفَةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُهَاجِرِينَ أَمْرًا يَعْذِرُونَكُمْ بِهِ.

قال الحافظ في «الفتح»: وقد أوردها أبوبكر البرقاني في «مستخرجه»، وساقها الحميدي في «الجمع بين الصحيحين» فذكرها بنحو ما ذكرها ابن تيمية رحمه الله، إلى أن قال: قال الحميدي: اختصره البخاري فذكر طرفًا منه... وأخرجه بطوله البرقاني بالإسناد الذي أخرج البخاري ذلك القدر منه. اهـ ملخصًا. وذكره ابن بطال من وجه آخر عن سفيان الثوري بهذا الإسناد مطولًا أيضًا. اهـ المراد.

وأخرج الأثر ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٨٢٩) من طريق أيوب الطائي، وبرقم (١٨٣٠) من طريق سفيان الثوري كلاهما عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: لما جمع أبوبكر رضي الله عنه أهل الرِّدَّة قال: اختاروا مني حربًا مجلية أو سلمًا مخزية. فذكره إلى قوله: حتى يُرِيَ اللهُ خليفة رسوله والمؤمنين ما شاءه.

والأثر صحيح.

ومعنى قوله: (وتتبعون أو تلزمون أذناب الإبل) أي: ترعونها. والمراد بـ(الحَلْقة) أي: السلاح، و(الكراع) أي: الخيل.

بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ، كَانَتْ فِي الجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ قَالَ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ، كَانَتْ فِي الجَسَدِ الخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ، وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَلَا يُفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ، فَيُقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الخَبِيثَةِ، كَانَتْ فِي الجَسَدِ الخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً، فَإِنَّهَا لَا تُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَيُرْسَلُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى القَبْرِ».

قال شيخنا في «الجامع الصحيح» (١/ ٣٧٣): **هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.**

الحديث أخرجه النسائي (٢/ ١٧٧) وأحمد من طريق ابن أبي ذئب به.

ومن أشهر ما يذكر في هذا الباب حديث البراء بن عازب الطويل في قبض روح المؤمن، وتنعمه في حياته البرزخية إلى قيام الساعة، وقبض روح الكافر، وعذابه في حياته البرزخية إلى قيام الساعة، والمنافق خبيث كافر إلا أنه ستر كفره في حياته الدنيا.

إذا مات المنافق استراح منه البلاد والعباد والشجر والدواب

قال الإمام البخاري رحمه الله (٦٥١٢): حدثنا إسماعيل، قال: حدثني مالك عن محمد بن عمرو بن حلحلة عن معبد بن كعب بن مالك عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري: أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازة، فقال: «**مُسْتَرِيحٌ، وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ**»، قالوا: يا رسول الله، ما المستريح وما المُسْتَرَاحُ منه؟ قال: «**العَبْدُ**

المُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا، إِلَى رَحْمَةِ اللهِ، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ، وَالبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالدَّوَابُّ». ورواه مسلم (٩٥٠).

قال الحافظ في «الفتح»: والعبد الفاجر يحتمل أن يراد به الكافر، ويحتمل أن يدخل فيه العاصي.

وقال الإمام مسلم رحمه الله (٢٧٨٢): حدثني أبو كريب محمد بن العلاء، حدثنا حفص يعني: ابن غياث عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر: أن رسول الله ﷺ قدم من سفر، فلما كان قرب المدينة؛ هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب، فزعم أن رسول الله ﷺ قال: «**بُعِثَتْ هَذِهِ الرِّيحُ لِـمَوْتِ مُنَافِقٍ**»، فلما قدم المدينة، فإذا منافق عظيم من المنافقين قد مات.

قال النووي في قوله: (بعثت هذه الريح لموت منافق) أي: عقوبة له، وعلامة لموته، وراحة البلاد، والعباد به.

جنازة غير الصالحين - ومنهم المنافق - شَرٌّ، وقولها يا ويلها أين يذهبون بها

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٣١٤): حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا الليث عن سعيد المقبري عن أبيه: أنه سمع أبا سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا! أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟! يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ**».

وقال الإمام البخاري رحمه الله (١٣١٥): حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان قال: حفظناه من الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ

قال: «أَسْرِعُوا بِالجِنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ». ورواه مسلم (٩٤٤).

والمراد بالجنازة في هذين الحديثين الميت، قال الحافظ في شرح حديث أبي سعيد: وفي رواية ابن أبي ذئب... «إِذَا وُضِعَ المَيِّتُ عَلَى السَّرِيرِ». اهـ المراد.

وقد بوب البخاري في «صحيحه» (باب قول الميت وهو على الجنازة: قدموني): وذكر حديث أبي سعيد.

حال المنافق إذا وضع في قبره وفتنته وعذابه فيه إلى أن يبعثه الله

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٣٧٤): حَدَّثَنَا عَيَّاشُ بْنُ الوَلِيدِ، حَدَّثَنَا عَبْدُالأَعْلَى، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ - وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ، فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ - لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَمَّا المُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا» قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ، قَالَ: «وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ». ورواه مسلم (٢٨٧٠).

قوله: (تليت): أصله تلوت. والمعنى: لا دريت، ولا اتبعت من يدري.

وقال الإمام البخاري رحمه الله (٨٦): حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، قَالَ حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ فَاطِمَةَ، عَنْ أَسْمَاءَ قَالَتْ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي،

فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ الله! قُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَيْ نَعَمْ، فَقُمْتُ، حَتَّى تَجَلَّانِي الغَشْيُ، فَجَعَلْتُ أَصُبُّ عَلَى رَأْسِي المَاءَ، فَحَمِدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي، حَتَّى الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ مِثْلَ أَوْ قَرِيبَ** - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - **مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، يُقَالُ**: **مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ أَوِ المُوقِنُ** - لَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ - **فَيَقُولُ**: **هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله، جَاءَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَالهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا، هُوَ مُحَمَّدٌ** - ثَلَاثًا - **فَيُقَالُ**: **نَمْ صَالِحًا، قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ. وَأَمَّا المُنَافِقُ أَوِ المُرْتَابُ** - لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - **فَيَقُولُ**: **لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ**». ورواه مسلم (٩٠٥).

وقال الإمام عبد الرزاق في «المصنف» (٦٧٤٤) عن ابن جريج، قال: أخبرني أبوالزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا دخل المؤمن قبره، وتولى عنه أصحابه أتاه ملك شديد الانتهار، فقال: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول المؤمن: أقول: إنه رسول الله ﷺ وعبده، فيقول له الملك اطلع إلى مقعدك الذي كان لك في النار، فقد أنجاك الله منه، وأبدلك مكانه مقعدك الذي ترى من الجنة، فيراهما كلتيهما، فيقول المؤمن: أُبَشِّرُ أَهلي؟ فيقال له: أسكن، فهذا مقعدك أبدًا، والمنافق إذا تولى عنه أصحابه يقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت، أنظر مقعدك الذي كان لك في الجنة، قد أبدلك الله مكانه مقعدك من النار. **إسناده صحيح على شرط الشيخين.**

ورواه أحمد (٣/ ٣٤٦)، والطبراني في «الأوسط» (٩٠٧٢) من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير أنه سأل جابر بن عبد الله عن فتَّاني القبر؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ، فذكره.

وقال الإمام الترمذي رحمه الله (١٠٧١): حَدَّثَنَا أَبُوسَلَمَةَ يَحْيَى بْنُ خَلَفٍ البَصْرِيُّ، حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ، أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَالآخَرُ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُالله وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ.**

وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ».

قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حديث حسن غريب.

قلت: **إسناده حسن** رجاله رجال الصحيح، وقال الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (١٣٩١): إسناده جيد. اهـ المراد.

وأخرجه الآجري في «الشريعة» ص (٣٦٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٦٤)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٣١١٧) كلهم من طريق يزيد بن زريع عن عبد الرحمن بن إسحاق به.

المنافق يبعث على نفاقه

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٧٨): حدثنا قتيبة بن سعيد، وعثمان بن أبي شيبة، قالا: حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ**».

وذكره من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعمش بهذا الإسناد مثله، وقال عن النبي ﷺ، ولم يقل سمعت.

الحديث أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٦)، والطبراني في «الأوسط» (٩٠٧٢) من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير: أنه سأل جابر بن عبد الله عن فتاني القبر، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «... **يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ فِي القَبْرِ عَلَى مَا مَاتَ: الْمُؤْمِنُ عَلَى إِيمَانِهِ، وَالْمُنَافِقُ عَلَى نِفَاقِهِ**».

وابن لهيعة ضعيف، فزيادته منكرة، وأصل الحديث يشملها، وقد صح المتن بزيادته من قول جابر.

قال الإمام عبد الرزاق في «المصنف» (٦٧٤٦): عن ابن جريج، قال: أخبرني أبو الزبير: أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ: الْمُؤْمِنُ عَلَى إِيمَانِهِ، وَالْمُنَافِقُ عَلَى نِفَاقِهِ** » **سنده على شرط الشيخين**.

حال المنافقين في عرصات القيامة وأنهم يكونون مع أمة محمد ﷺ فيفضحون

قال الإمام البخاري رحمه الله (٨٠٦): حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، قَالَ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَخْبَرَهُمَا، أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُمَارُونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ القَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَدْعُوهُمْ، فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو» الحديث. أخرجه مسلم (١٨٢).

وقال الإمام البخاري رحمه الله (٧٤٣٩): حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ زَيْدٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟» قُلْنَا: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا» ثُمَّ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ

صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ، تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ للهِ صَاحِبَةٌ وَلَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ اليَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالجَسْرِ، فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ...».

ورواه مسلم (١٨٣)، وعنده: «حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ العَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ

ظَهْرُهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ...».

قوله: «**وغُبَّرَات من أهل الكتاب**»: غبر الشيء بقيته، وجاء بسكون الموحدة، والمراد هنا من كان يوحد الله منهم. (قاله الحافظ).

قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٤٤٩): قال ابن بطال: في هذا الحديث أن المنافقين يتأخرون مع المؤمنين رجاء أن ينفعهم ذلك بناءً على ما كانوا يظهرونه في الدنيا، فظنوا أن ذلك يستمر لهم، فميز الله تعالى المؤمنين بالغرة والتحجيل إذ لا غرة للمنافق، ولا تحجيل، قلت: قد ثبت أن الغرة والتحجيل خاص بالأمة المحمدية، فالتحقيق أنهم في هذا المقام يتميزون بعدم السجود، وبإطفاء نورهم بعد أن حصل لهم، ويحتمل أن يحصل لهم الغرة والتحجيل، ثم يسلبان عند إطفاء النور، وقال القرطبي: ظن المنافقون أن تسترهم بالمؤمنين ينفعهم في الآخرة كما كان ينفعهم في الدنيا جهلًا منهم، ويحتمل أن يكونوا حُشِرُوا معهم لما كانوا يظهرونه من الإسلام، فاستمر ذلك حتى ميزهم الله تعالى منهم، قال: ويحتمل أنهم لما سمعوا: (لتتبع كل أمة ما كانت تعبد)، والمنافق لم يكن يعبد شيئًا؛ بقي حائرًا حتى ميز.

قلت: هذا ضعيف، لأنه يقتضي تخصيص ذلك بمنافق لا يعبد شيئًا، وأكثر المنافقين كانوا يعبدون غير الله من وثن وغيره. اهـ

هذا في حقيقة الأمر، وإلا فهم يتظاهرون بالإسلام.

وقال ابن رجب رحمه الله في كتابه «فتح الباري» شرح حديث أبي هريرة رقم (٨٠٦): وفي الحديث دليل على أن المشركين الذين كانوا يعبدون في الدنيا من دون

الله آلهة يتبعون آلهتهم التي كانوا يعبدون يوم القيامة، فيردنهم النار كما قال تعالى في حق فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾[هود:٩٨]، ويبقى من كان يعبد الله وحده ظاهرًا مؤمنًا كان أو منافقًا، فهؤلاء ينظرون من كانوا يعبدونه في الدنيا، وهو الله وحده لا شريك له.

المنافقون ممن يُنَادَى عليهم في الآخرة في ساحة الحساب على رءوس الخلائق باللعنة و الكذب والفضيحة وتشهد عليهم أبدانهم بسوء فعالهم

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[هود:١٨].

قال الإمام البخاري رحمه الله (٢٤٤١): حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، قَالَ: أَخْبَرَنِي قَتَادَةُ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ المَازِنِيِّ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - آخِذٌ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ. وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ».

قال الحافظ (١٠/ ٤٨٨) ط. س. وفي رواية سعيد وهشام: «وَأَمَّا الكَافِرُ، فَيُنَادَى عَلَى رُءُوسِ الأَشْهَادِ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، أَلَا لَعْنَةُ الله عَلَي الظَّالِمِينَ».
ورواه مسلم (٢٧٦٨).

قال الحافظ (١٠/ ٤٨٨): في قوله: (حتى يضع كنفه) بفتح الكاف والنون بعدها فاء أي: جانبه، والكنف أيضًا الستر، وهو المراد هنا، والأول: مجاز في حق الله.

وقال (١٣/ ٤٧٧): المراد بالكنف: الستر، وقد جاء مفسرًا بذلك في رواية عبدالله بن المبارك عن محمد بن سواء عن قتادة: قال عبد الله بن المبارك: كنفه ستره، أخرجه المصنف في كتاب «خلق أفعال العباد». اهـ

وفي «النهاية» (٤/ ٢٠٥): بعد أن ذكر هذا الحديث أي: يستره، وقيل: يرحمه، ويلطف به، والكنف بالتحريك: الجانب والناحية. اهـ

وهذا حق على حقيقته على الوجه اللائق بخالقنا سبحانه وتعالى ولا يوافق الحافظ رحمه الله في قوله مجاز.

وفي «صحيح مسلم» (٢٩٦٨) عن أبي هريرة مرفوعًا: وفي آخره، «**ثُمَّ يَلْقَى** - أي الله - **الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ: مِثْلَ ذَلِكَ**» وهو قوله: «**أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟**»، قال: «**ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ؛ وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ**».

وقد سبق الحديث بطوله مع بيان غريبه تحت صفتهم: (نسوا الله فنسيهم وسخط عليهم).

يعطى المنافقون نورًا يوم القيامة فينطفئ عنهم أو أن الله لم يجعل لهم نورًا، فيلتمسونه من نور المؤمنين فلا يمكنهم ذلك

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[الحديد:١٢-١٤].

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٩١): حَدَّثَنِي عُبَيْدُالله بْنُ سَعِيدٍ، وَإِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ، كِلَاهُمَا عَنْ رَوْحٍ، قَالَ عُبَيْدُ الله: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ القَيْسِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِالله يُسْأَلُ عَنِ الوُرُودِ، فَقَالَ: نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ كَذَا وَكَذَا، انْظُرْ، أَيْ: ذَلِكَ فَوْقَ النَّاسِ، قَالَ: فَتُدْعَى الأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ - مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ - نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ، وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ المُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو المُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، سَبْعُونَ أَلْفًا، لَا يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِكَ، ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ المَاءَ،

حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ، حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا.

قوله: «**نجيء يوم القيامة عن كذا وكذا أنظر أَيْ ذلك فوق الناس**»: قال النووي رحمه الله: هكذا وقع هذا اللفظ في جميع الأصول من صحيح مسلم، واتفق المتقدمون، والمتأخرون على أنه تصحيف، وتغيير واختلاط في اللفظ، قال الحافظ عبد الحق في كتابه «الجمع بين الصحيحين»: هذا الذي وقع في كتاب مسلم تخليط من أحد الناسخين أو كيف كان، وقال القاضي عياض: هذه صورة الحديث في جميع النسخ، وفيه تغيير كثير وتصحيف، قال: وصوابه: «**نجيء يوم القيامة على كوم**»، هكذا رواه بعض أهل الحديث في كتاب ابن أبي خيثمة من طريق كعب بن مالك: «**يحشر الناس يوم القيامة، فأكون أنا، وأمتي على تل**»، قال القاضي: فهذا كله يبين ما تغير من الحديث، وأنه كان أظلم هذا الحرف على الراوي أو أمحى فعبر عنه بكذا وكذا، وفسره بقوله أي: فوق الناس، وكتب عليه انظر تنبيهًا، فجمع النقلة الكل ونسقوه على أنه من متن الحديث كما تراه، هذا كلام القاضي، وقد تابعه عليه جماعة من المتأخرين والله أعلم.

قال القاضي: ثم إن هذا الحديث جاء كله من كلام جابر موقوفًا عليه، وليس هذا من شرط مسلم؛ إذ ليس فيه ذكر النبي ﷺ، وإنما ذكره مسلم، وأدخله في المسند؛ لأنه روي مسندًا من غير هذا الطريق، فذكر ابن أبي خيثمة عن ابن جريج يرفعه بعد قوله يضحك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**فينطلق بهم**»، وقد نبه على هذا مسلم بعد هذا في حديث ابن أبي شيبة، وغيره في الشفاعة، وإخراج من يخرج من النار، وذكر إسناده، وسماعه من النبي ﷺ بمعنى بعض ما في الحديث والله أعلم. اهـ

وقال الإمام ابن المبارك رحمه الله في «الزهد» (٣٦٨) برواية نعيم بن حماد، أنا صفوان بن عمرو قال: حدثني سليم بن عامر، قال: خرجنا في جنازة في باب دمشق، ومعنا أبو أمامة، فلما صلى على الجنازة، وأخذوا في دفنها؛ قال أبو أمامة: (يأيها الناس أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات، وتوشكوا أن تظعنوا منه إلى منزل آخر، وهو هذا - فيشير إلى القبر - بيت الوحدة، وبيت الظلمة، وبيت الدود، وبيت الضيق إلا ما وسع الله، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة، فإنكم لفي بعض تلك المواطن حين يغشى الناس أمر من أمر الله؛ فتبيض وجوه، وتسود وجوه، ثم تنتقلون إلى منزل، فتغشى الناس ظلمة شديدة، ثم يقسم النور، فيعطى المؤمن نورًا، ويترك الكافر والمنافق، فلا يعطيان شيئًا من النور، وهو المثل الذي ضرب الله في كتابه: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[النور:٤٠]، فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن، كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير، فيقول المنافقون للذين آمنوا: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾[الحديد:١٣]، وهي خدعة الله التي يخدع بها المنافقين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء:١٤٢]، فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور، فلا يجدون شيئًا، فينصرفون إليهم: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾[الحديد:١٣-١٤]، نصلي صلاتكم، ونغزو مغازيكم؟ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الحديد:١٤-١٥].

ويقول سليم: فما يزال المنافق مغترًّا حين يقسم النور، ويميز الله بين المؤمن والمنافق).

سنده صحيح. صفوان بن عمرو السكسكي، وسليم بن عامر (هو الخبائري): وهما ثقتان من رجال مسلم.

الأثر أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (سورة الحديد) من طريق عبده بن سليمان، والحاكم (٢/ ٤٠٠)، ومن طريقه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠١٥) من طريق عبدان كلاهما عن عبد الله بن المبارك به.

مثواهم ومقرهم جهنم وبئس القرار

قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾[التوبة:٦٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾[النساء:١٤٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[النساء:١٤٥-١٤٦].

قال السعدي رحمه الله في «تفسيره»: يخبر الله تعالى عن مآل المنافقين، أنهم في أسفل الدركات من العذاب، وأشر الحالات من العقاب، فهم تحت سائر الكفار؛ لأنهم شاركوهم بالكفر بالله، ومعاداة رسله، وزادوا عليهم المكر، والخديعة، والتمكن من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين على وجه لا يُشْعَرُ به، ولا يحس، ورتبوا على ذلك جريان أحكام الإسلام عليهم، واستحقاق ما لا يستحقونه؛ فبذلك ونحوه استحقوا أشد العذاب. اهـ

ولا مخلص للمنافقين من خزي الدنيا، وعذاب الآخرة إلا إذا تابوا إلى الله توبة نصوحًا، وأصلحوا ظواهرهم، وبواطنهم، واعتصموا بالله والتجئوا إليه في جلب المنافع، ودفع المضار، وأخلصوا دينهم لله فقصدوه به، وسلموا من الرياء، والنفاق فحينئذ يكونون مع المؤمنين في الدور الثلاثة: الدنيا، والبرزخ، ودار قرارهم: وهي الجنة، وقد وعدهم الله بالسعادة، والعزة والأجر العظيم، والثواب الجزيل.

وأخيرًا أشكر الله أوَّلًا وآخرًا على نعمه الكثيرة، وآلائه الجسيمة ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾. وأشكر كل من أعانني على خير.

والحـــــــمدُ لله رب العـــــــالمين

كان الفراغ من كتابته لست بقين

من شهر ذي الحجة الحرام

لسنة ست وعشرين

وأَربعمائة وأَلف

❊ ❊ ❊

❊ ❊

❊



الفهارس العامة

- ❖ فهرس الآيات.
- ❖ فهرس الأحاديث.
- ❖ فهرس الآثار.
- ❖ المحتويات.

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

المحتويات